دراســة عقــديـة في إبليــس

الدكتور/ محمد بن عبدالعزيز بن أحمد العلي
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية أصول الدين

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

فقد كثرت الكتابات في الجن والشياطين، وفي الملل والنحل والاتجاهات المخالفة لما جاء به رسل الله عليهم الصلاة والسلام عن الله سبحانه وتعالى، ومن تلك الكتابات ما هو علمي محقق، وكثير منها إنشائي ثقافي.

وقد لفت انتباهي خلو المكتبة العلمية من كتابة عقدية محققة تدرس أصل الجن والشياطين، ومنشأ تلك الملل والنحل والاتجاهات، وأعظم أسباب الشرك والضلالات، أعني إبليس الذي أقسم بالله تعالى على إغواء بني آدم، كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنه بقوله: ﴿ **قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣].

ولهذا أقدمت على هذه الكتابة التي بذلت فيها جهدي لدراسة ما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وأقوال أهل العلم في إبليس؛ دراسة تظهر ما ثبت من النصوص والأخبار في هذه المسألة الغيبية؛ بعيداً عن الإسرائيليات والآثار غير الثابتة، التي ملأت كثيراً من التفاسير.

ورأيت أن يكون عنوانه: (دراسة عقدية في إبليس)، فهو عنوان مختصر يدل على مضمونه.

وقد قسمت الموضوع إلى مقدمة وخمسة عشر مبحثاً.

تحدثت في المقدمة عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره إجمالاً.

المبحث الأول: تعريف إبليس، والفرق بينه وبين الجن والشياطين.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف إبليس في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: تعريف الجن

المطلب الثالث: تعريف الشيطان.

المطلب الرابع: إطلاق لفظ الشيطان على كل متمرد.

المطلب الخامس: الفرق بين إبليس والجن والشياطين.

المبحث الثاني: زمن خلقه.

المبحث الثالث: مادة خلقه.

المبحث الرابع: أصله (الاختلاف في أصله، وهل هو من الجن أو من الملائكة - عرض أدلة القولين، ثم الترجيح مع مناقشة أدلة القول الآخر).

المبحث الخامس: حقيقة سجود الملائكة لآدم عليه السلام.

المبحث السادس: امتناع إبليس عن الامتثال لأمر الله تعالى بالسجود لآدم عليه السلام.

المبحث السابع: فساد قياس إبليس.

المبحث الثامن: فساد شبهة إبليس وبطلانها.

المبحث التاسع: الجنة التي أسكنها الله تعالى آدم عليه السلام.

المبحث العاشر: هل دخل إبليس الجنة.

المبحث الحادي عشر: عرش إبليس.

المبحث الثاني عشر: إنظار إبليس، ثم موته، والحِكَم من ذلك.

المبحث الثالث عشر: بيان كيف يعذب إبليس بالنار، وهو مخلوق منها.

المبحث الرابع عشر: الحكمة من خلق إبليس وجنوده.

المبحث الخامس عشر: الحكمة من ذكر قصة إبليس وتكرارها في القرآن الكريم.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

الهوامش

المصادر والمراجع.

هذا وأسأل الله إخلاص النية وصلاح العمل. وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم.

المبحث الأول
تعريف إبليس والفرق بينه وبين الجن والشياطين

المطلب الأول
تعريف إبليس

في اللغة:

أبلس الرجل إبلاساً فهو مبلِس إذا قطع به، وسكت وتحيّر.

وأبْلَسَ من رحمة الله أي يئس ونَدِم وحزن، يقال: أُبْلِسَ من رحمة الله أي أُويس، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [الروم: ١٢]، أي ييأسون من كل خير؛ وذلك لأنهم ما قدّموا لذلك اليوم إلا الإجرام[١].

والبَلَسُ: من لا خيرَ عنده[٢].

إذن، الإبلاس: هو الانقطاع، والسكوت مع الحيرة، والندم، والقنوط، واليأس، ولهذا سمي إبليس بهذا الاسم لانقطاع حجته، وحيرته، ويأسه من رحمة الله تعالى؛ إذ لا خير عنده.

وقيل : سمي بهذا الاسم لأنه لما أويس من رحمة الله أبْلَسَ يأسا: أي سكت وانقطع يأسا[٣].

روى ابن جرير عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: «إبليس أبلسه الله من الخير كله، وجعله شيطانًا رجيماً عقوبة لمعصيته»[٤].

---

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٥٨٧.

(٢) انظر لسان العرب، ١/٢٥٦، والمعجم الوسيط، ص٣.

(٣) انظر لسان العرب، ١/٢٥٦.

(٤) جامع البيان في تفسير القرآن، ١/١٨٠.

وروى عن السدي[1]. أنه قال: « وإنما سمي إبليس حين أبلس فغيّر، كما قال جل ثناؤه : ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٤] يعني به أنهم آيسون من الخير، نادمون حزنا»[2].

وقال الطبري[3] : « وإبليس: إفعيل من الإبلاس، و هو الإياس من الخير، والندم، والحزن »[4].

وقال ابن كثير[5] : « فلما أبى إبليس أن يسجد أبلسه الله : أي آيسه من الخير كله، وجعله شيطاناً رجيماً عقوبة لمعصيته ...

ترك السجود؛ فلهذا أبلس من الرحمة: أي أويس من الرحمة...؛ فأبعده الله جل وعلا وأرغم أنفه، وطرده من باب رحمته، ومحل أنسه، وحضرة قدسه، وسماه إبليس إعلاماً له بأنه قد أبلس من الرحمة، وأنزله من السماء مذموماً مدحوراً »[6].

---

(١) هو إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدِّيُّ، ورد عنه أنه رأى أبا هريرة والحسن بن علي. مات سنة ١٢٧هـ انظر: سير أعلام النبلاء، ٥/٢٦٤-٢٦٥.

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن، ١/١٨٠.

(٣) هو الإمام المفسر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، مات سنة ٣١٠هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، ١٤/٢٦٧-٢٨٢.

(٤) جامع البيان في تفسير القرآن، ١/١٨٠.

(٥) هو الإمام المفسر إسماعيل بن عمر بن كثير، مات سنة ٧٧٤هـ ، انظر: الدرر الكامنة، ١/٣٧٣-٣٧٤.

(٦) تفسير القرآن العظيم ، ١/٧٣ ، ٢/١٩٤ ، ٤/٤٥.

قال الشبلي[1]: « وهذا يدل على أن إبليس إنما سمي بهذا الاسم بعد لعن الله تعالى إياه »[2]. وفي هذا نظر، لجواز أن يسمى بذلك باعتبار ما سيقع له[3].

أما قبل معصيته وامتناعه عن السجود فقد ذكرت بعض الآثار غير الثابتة أن اسمه كان الحارث، وفي بعضها عزازيل، وفي أخرى نائل، وفي رابعة الحَكَم، وخامسة يافل.

وفي بعض الآثار يكنى أبا مرة، وفي بعض آخر أبا كدوس، وأبا الكروبيين[4]..

والحق أنه لم يثبت في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ شيء من تلك الأسماء والكنى، فوجب الوقوف عند النص.

وإبليس اسم أعجمي غير مشتق عند الأكثر، فلا ينصرف للعجمة والتعريف.

فهي كلمة معربة، جمعها أبالسة وأباليس[5]..

وقيل: هو عربي وزنه (إفعيل) مشتق من أبلس إذا أيس، لم ينصرف للتعريف، ولأنه لا نظير له في الأسماء فشُبه بالأسماء الأعجمية.

---

(١) هو محمد بن عبدالله الشِّبْلي، من فقهاء الحنفية، ولد بدمشق سنة ٧١٢هـ، ومات بطرابلس الشام ٧٦٩هـ. انظر: الأعلام، ٢٣٤/٦.

(٢) آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان، ص١٢.

(٣) انظر: فتح الباري، ٣٣٩/٦

(٤) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن، ١٨٠/١، وتفسير القرآن العظيم، ٧٢/١، وفتح الباري، ٣٣٩/٦ وعقد المرجان فيما يتعلق بالجان، ص٣٢.

(٥) انظر لسان العرب ٢٥٦/١، والمعجم الوسيط ص٣، وفتح الباري ٣٣٩/٦.

واعترض على هذا القول بأن في الأسماء مثله نحو : إخريط وإحفيل وإصليت[1].

قال الطبري: « وإبليس: إفعيل من الإبلاس وهو الإياس من الخير والندم والحزن، فإن قال قائل : فإن كان إبليس (إفعيل) من الإبلاس فهلاّ صرف وأُجري ؟ قيل: تُرِك إجراؤه استثقالاً؛ إذ كان اسماً لا نظير له من أسماء العرب فشبهته العرب - إذ كان كذلك - بأسماء العجم التي لا تُجْرَى، وقد قالوا: مررت بإسحق فلم يجروه، وهو من أسحقه الله إسحاقاً؛ إذ كان وقع مبتدأ اسماً لغير العرب، ثم تسمَّتْ به العرب فجرى مجراه، وهو من أسماء العجم في الإعراب فلم يصرف، وكذلك أيوب إنما هو من آب يؤوب »[2].

في الاصطلاح:

إبليس اسم علم على عدو الله تعالى، الذي خلقه من نار وأمره بالسجود لآدم عليه السلام إكراماً له وتشريفاً ، فأبى إبليس أن يسجد لآدم واستكبر، فلعنه الله وطرده، وأنظر إلى يوم الوقت المعلوم.

ولهذا يمكن أن يعرّف إبليس - باختصار - بأنه: أبو الجن المُنْظَر إلى يوم الدين.

---

(١) انظر روح المعاني ١/٢٢٩.

(٢) جامع البيان فى تفسير القرآن ١/١٨٠.

المطلب الثاني
تعريف الجن

جَنَّ الشيء يَجُنُّه جَنًّا: سَتَرَه، وكل شيء سُتر عنك فقد جُنَّ عنك، وجَنَّه الليلُ يَجُنُّه جَنًّا وجُنُوناً، وجَنَّ عليه يَجُنُّ - بالضم - جُنوناً، وأجَنَّه: سَتَره، وبه سمي الجِنُّ لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار.

ومنه سمي الجنين لاستتاره في بطن أمه[١].

قال الجوهري[٢]: « والجن خلاف الإنس، والواحد جني، يقال: سُمِّيتْ بذلك لأنها تتقي ولا تُرى »[٣].

والجن : ولد الجان الذي هو إبليس، وهم نوع من العالم سموا بذلك لاجتنانهم عن الأبصار ؛ ولأنهم اسْتَجَنُّوا من الناس فلا يُرَوْن ... وهم الجِنَّةُ [٤].

والجن عالم آخر غير عالم الملائكة والإنس؛ خلقهم الله تعالى من نار، يرون الإنس في حال لا يراهم الإنس فيها، وهم مشاركون للإنس في جنس التكليف بالأمر والنهي، والتحليل والتحريم؛ إلا أنهم ليسوا مماثلين في الحد والحقيقة، فلا يكون ما أمروا به ونهوا عنه مساوياً لما على الإنس في الحد، فهم مأمورون بالأصول والفروع بحسبهم[٥].

---

(١) انظر: لسان العرب، ٥١٥/١.

(٢) هو أبو نصر إسماعيل بن حماد، التركي؛ مصنف الصحاح، إمام في اللغة، مات سنة ٣٩٣هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، ٨٢،٨١/١٧، والأعلام، ٣١٣/١.

(٣) الصحاح، ٢٠٩٣/٥.

(٤) لسان العرب، ٥١٦/١.

(٥) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ٢٣٣/٤و٧/١٥.

المطلب الثالث

تعريف الشيطان

الشطن: الحبل، وقيل؛ الحبل الطويل، شديد الفتل، والجمع أشطان، والشطون من الآبار التي تُنْزَع بحبلين من جانبيها، وهي متسعة الأعلى ضيقة الأسفل، فإن نزعها بحبل واحد جرها على الطي فتخرّقت، وبئر شطون: ملتوية عوجاء بعيدة القعر. وحرب شطون: عسرة شديدة، وشطن عنه: بَعُد، وأشطنه: أبعده، والشاطن: البعيد عن الحق، والشيطان فيعال من شَطَن إذا بَعُدَ.

وقيل: الشيطان فعلان من شاط يشيط إذا هلك واحترق مثل هيمان وغيمان من هامَ وغامَ.

ويقال استشاط غضباً: إذا احتدّ في غضبه والتهب(1).

نخلص من هذا التحليل اللغوي إلى أن في أصل كلمة الشيطان قولين:

الأول: النون أصلية، فيكون من الشطن وهو البعد، فالشيطان بَعُدَ عن الخير، أو من الحبل الطويل، أي أنه طال في الشر.

الثاني: النون زائدة، فيكون من شاط يشيط إذا هلك، أو من استشاط إذا احتدّ والتهب.

وقد رجّح أبو جعفر الطبري القول الأول(2).

وقال ابن كثير: « الشيطان في لغة العرب مشتق من شطن إذا بعد، فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر، وبعيد بفسقه عن كل خير.

---

(١) انظر: لسان العرب، ٣١٧/٢.

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن، ٣٨/١.

وقيل: مشتق من شاط؛ لأنه مخلوق من نار.

ومنهم من يقول : كلاهما صحيح في المعنى، ولكن الأول أصح، وعليه يدل كلام العرب، قال أمية بن أبي الصلت[١]. في ذكر ما أوتى سليمان عليه السلام :

أيما شاطن عصاه عكاه ثم يلقى في السجن والأغلال

فقال : أيما شاطن، ولم يقل أيما شائط.

وقال النابغة الذبياني[٢]:

نأت بسعاد عنك نوى شطون فباتت والفؤاد بها رهين

يقول: بعدت بها طريق بعيدة.

وقال سيبويه[٣]: « العرب تقول: تشيطن فلان إذا فعل فِعل الشياطين، ولو كان من شاط لقالوا: تشيط، فالشيطان مشتق من البعد على الصحيح؛ ولهذا يسمون كل من تمرّد من جنيّ وإنسي وحيوان شيطانا»[٤].

فالكلمة إذن عربية فصيحة، خلافاً لمن زعم غير ذلك.

---

(١) هو أُميّةُ عبدالله أبي الصلْت الثقفي، شاعر جاهلي، مات سنة ٥هـ. انظر: الأعلام، ٢/٢٣.

(٢) هو زياد بن معاوية الذبياني الغطفاني، شاعر جاهلي، مات نحو سنة ١٨ قبل الهجرة. انظر: الأعلام، ٣/٥٤،٥٥.

(٣) هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، إمام النحاة، مات سنة ١٨٠هـ انظر: البداية والنهاية، ١٠/١٨٢و الأعلام ٥/٨١ :

(٤) تفسير القرآن العظيم، ١/١٥.

وللعقاد[1] كلام في هذه المسألة أرى من الفائدة نقله ؛ إذ يقول : « والأرجح عندنا أن الكلمة أصيلة في اللغة العربية القديمة..، لا يبعد أن تكون أقدم من نظائرها في اللغة البابلية؛ لأن اللغة العربية قد اشتملت على كل جذر يمكن أن يتفرع منه لفظ الشيطان، على أي احتمال وعلى أي تقدير.

ففيها مادة شط، وشاط، وشوط، وشطن، وفي هذه المواد معاني البعد والضلال والتلهب والاحتراق، وهي تستوعب أصول المعاني التي تفهم من كلمة الشيطان جميعها.

فالشطط في اللغة: الذي يدخل في أخص عناصر الشيطنة.

والشط: بمعنى الجانب المقابل، قد تلحظ في مقابلة الخير بالشر من جانب الشيطان.

وشاط بمعنى احترق وتلف، وأشاطه بمعنى أهلكه وأتلفه.

وانطلق شوطاً أي ابتعد واندفع في مجراه.

وشطن أي ابتعد ، فهو شيطان على صيغة فيعال »[2].

---

(١) هو عباس محمود العقاد، أديب مصري، توفي سنة ١٣٨٣هـ. انظر: الأعلام، ٣/٢٦٦.

(٢) إبليس، ص ٣٨.

المطلب الرابع
إطلاق لفظ الشيطان على كل متمرد

قال بعض المفسرين: إن جميع الشياطين أولاد إبليس، إلا أن الذي يوسوس للإنس يسمى شيطان الإنس، والذي يوسوس للجن يسمى شيطان الجن[1]. وهذا القول فيه نظر. والحق أن لفظ الشيطان يطلق على كل متمرد من الإنس والجن والدواب، وهذا ما دلت عليه النصوص الشرعية، فيطلق الشيطان على إبليس لبعده عن الحق وتمرده عليه، قال تعالى: ﴿ **فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ** ﴾ [البقرة: ٣٦]، والمراد بالشيطان هنا إبليس[2]..

أما إطلاق لفظ الشيطان على كل متمرد من الإنس والجن فدل عليه قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا** ﴾ [الأنعام: ١١٢].

قال الطبري في تفسير هذه الآية: « معنيٌّ به أنه جعل مردة الإنس والجن لكل نبي عدواً يوحي بعضهم إلى بعض من القول ما يؤذيهم به»[3].

وقال في موضع آخر: « والشيطان في كلام العرب كل متمرد من الجن والإنس والدواب وكل شيء، وكذلك قال ربنا - جل ثناؤه -: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ** ﴾ فجعل من الإنس شياطين مثل الذي جعل من الجن »[4].

---

(١) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن، ٨/٤.

(٢) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن، ١/١٨٦.

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن، ٨/٤.

(٤) المصدر السابق، ١/٣٧،٣٨.

وقال ابن كثير: « أي لهم أعداء من شياطين الإنس والجن، والشيطان كل من خرج عن نظيره بالشر، ولا يعادي الرسل إلا الشياطين من هؤلاء وهؤلاء، قبحهم الله ولعنهم»[1].

وقوله تعالى عن المنافقين: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ [البقرة: ١٤].

قال أبو جعفر الطبري: « إذا خلوا إلى مردتهم، وأهل العتو والشر والخبث منهم ومن سائر أهل الشرك الذين هم على مثل الذي هم عليه من الكفر بالله وبكتابه ورسوله وهم شياطينهم، وقد دللنا فيما مضى من كتابنا على أن شياطين كل شيء مردته»[2].

ومن السنة ما رواه أبو ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (يا أبا ذر: تعوذ بالله من شياطين الإنس والجن). فقلت : أَوَ للإنس شياطين ؟ قال : (نعم)[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يتبع حمامة، فقال : (شيطان يتبع شيطانة)[4].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ١٥٨/٢ ، وانظر: ١٥/١.

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن، ١٠٠/١.

(٣) رواه أحمد في مسنده ١٧٨/٥، ١٧٩، والنسائي في سننه ٢٤٢/٨، كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من شر شياطين الإنس والجن، وقد ذكر ابن كثير روايات أخرى لهذا الحديث، ثم قال:« فهذه طرق لهذا الحديث، ومجموعها يفيد قوته وصحته. والله أعلم ». انظر: تفسير القرآن العظيم ١٥٨/٢ .

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب ذبح الحمام، ح (١٣٠٠)، وأبو داود، في كتاب الأدب، باب اللعب بالحمام ، ح (٤٩٤٠)، وابن ماجة، كتاب الأدب، باب اللعب بالحمام، ح (٣٧٦٥)، وقال عنه الألباني: « إسناده حسن ». انظر: مشكاة المصابيح ١٢٧٦/٢ ، ح (٤٥٠٦).

أما إطلاق لفظ الشيطان على المتمرد من الحيوان، فيدل عليه ما رواه عبد الله بن الصامت عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا قام أحدكم يصلي فإنه يستره إذا كان بين يديه مثل آخرة الرحل؛ فإذا لم يكن بين يديه مثل آخرة الرحل فإنه يقطع صلاته الحمار والمرأة والكلب الأسود)، قلت: يا أبا ذر ما بال الكلب الأسود من الكلب الأحمر من الكلب الأصفر ؟ قال: يا ابن أخي سألت رسول الله ﷺ كما سألتني فقال : (الكلب الأسود شيطان)[١].

فالكلب الأسود شيطان الكلاب، كما أن الجن تتصور بصورته كثيراً[٢].

وروى ابن كثير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه ركب برذوناً فجعل يتبختر به، فجعل يضربه فلا يزداد إلا تبختراً فنزل عنه، وقال : (ما حملتموني إلا على شيطان، ما نزلت عنه حتى أنكرت نفسي)[٣].

قال أبو جعفر الطبري: « وإنما سمي المتمرد من كل شيء شيطاناً لمفارقة أخلاقه وأفعاله أخلاق سائر جنسه وأفعاله، وبعده عن الخير»[٤].

وقال ابن كثير: « فالصحيح ما تقدم من حديث أبي ذر أن للإنس شياطين منهم، وشيطان كل شيء مارده، ولهذا جاء في صحيح مسلم عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: (الكلب الأسود شيطان). ومعناه والله أعلم: شيطان في الكلاب »[٥].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب قدر ما يستر المصلي، ح (٥١٠).

(٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٩/٥٢.

(٣) قال ابن كثير: إسناده صحيح. انظر: تفسير القرآن العظيم ١/١٥.

(٤) جامع البيان في تفسير القرآن ١/٣٨.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٢/١٥٩.

قال الجوهري: « وكل عاتٍ من الإنس والجن والدواب شيطان، قال جرير :

أيام يدعونني الشيطان من غزل وهن يهوينني إذ كنت شيطانا

والعرب تسمّي الحية شيطاناً »[١].، وهي حية ذات عُرّف قوية متمردة[٢].

هذا وقد روى ابن جرير عن ابن عباس أنه قال: «كل عاتٍ متمرد من الجن والإنس فهو شيطان»[٣].

ونقل الطبري وغيره عن بعض المفسرين أنهم قالوا: « إن من الجن شياطين، ومن الإنس شياطين، وإن شيطان الجن إذا أعياه المؤمن ذهب إلى متمرد من الإنس، وهو شيطان الإنس، فأغراه بالمؤمن ليعينه عليه»[٤].

وأورد القرطبي عن مالك بن دينار[٥] أنه قال : « شياطين الإنس تغلب شياطين الجن ...، إن شيطان الإنس أشد عليَّ من شيطان الجن؛ لأني إذا تعوّذت بالله ذهب شيطان الجن عنّي، وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي عياناً »[٦].

---

(١) الصحاح ٥/٢١٤٤،٢١٤٥.

(٢) انظر: معاني القرآن ٢/٣٨٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/١٢.

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن ٨/٥.

(٤) انظر: جامع البيان ٨/٥، وتفسير النيسابوري في هامشه، الصفحة نفسها. والجامع لأحكام القرآن ٧/٥٨.

(٥) هو مالك بن دينار، أحد كبار التابعين، مات سنة ١٣٠ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٦٢-٣٦٤، والأعلام ٥/ ٢٦٠-٢٦١.

(٦) انظر: الجامع الأحكام القرآن ٧/٥٨ ، وكشف الخفا ومزيل الإلباس ٢/١٧.

المطلب الخامس

الفرق بين إبليس والجن والشياطين

اختلف العلماء في علاقة إبليس بالجن والشياطين على ثلاثة أقوال، هي:

الأول: أنّ إبليس هو أبو الجن؛ مؤمنهم وكافرهم، وكفارهم هم الشياطين، وعلى هذا فإبليس هو أصل الجن والشياطين ومصدرهم.

الثاني: أنّ إبليس هو أبو الشياطين وأصلهم، أما الجن فإن أصلهم هو (الجان) الوارد ذكره في قوله تعالى: ﴿ **وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ** ﴾ [الحجر: ٢٧].

الثالث: أنّ إبليس ليس هو أباً للجن ولا للشياطين، وإنما هو واحد من الجن، بدليل قوله تعالى: ﴿ **إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ** ﴾[الكهف: ٥٠].

قال بدر الدين العيني[(١)]: « اختلف في أصلهم، فعن الحسن أن الجن ولد إبليس، ومنهم المؤمن والكافر، والكافر يسمى شيطاناً.

وعن ابن عباس: هم ولد الجان، وليسوا شياطين، منهم الكافر والمؤمن، وهم يموتون، والشياطين ولد إبليس لا يموتون إلا مع إبليس»[(٢)].

وقد روي عن ابن عباس أن الجان في الآية هو إبليس[(٣)].

---

(١) هو محمود بن أحمد بن موسى العيني الحنفي، مات سنة ٨٥٥هـ، انظر: شذرات الذهب ١٦٣/٧، والأعلام ٢٨٦/٧.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٣٨/٦.

(٣) انظر: التفسير الكبير ١٨٤/١٠.

ولعل الراجح هو القول الأول؛ فإن (الجان) في قوله تعالى: ﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴾ [الحجر: ٢٧] هو إبليس على الصحيح.

قال أبو جعفر الطبري في تفسير الآية السابقة: « وعنى بالجان ههنا إبليس أبا الجن، يقول - تعالى ذكره -: وإبليس خلقناه من قبل الإنسان من نار السموم »[١].

وقد روى الطبري عن الحسن البصري[٢]. أنه قال: « ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجن كما أن آدم أصل الإنسان ».

وروى أيضا عن ابن زيد قوله: « إبليس أبو الجن كما أن آدم أبو الإنس »[٣].

ورجح هذا القول القرطبي[٤]. في تفسيره[٥].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[٦]: « ولم يكن في المأمورين بالسجود أحد من الشياطين؛ لكنّ أبوهم إبليس هو كان مأموراً فامتنع وعصى»[٧].

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن ٢١/١٤.

(٢) هو الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت، من كبار التابعين مات سنة ١١٠هـ، انظر: سير أعلام النبلاء ٥٦٣/٤-٥٨٨، والأعلام ٢٢٦/٢.

(٣) انظر القولين في المصدر السابق ٢٢٦/١.

(٤) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر، أبو عبد الله القرطبي. مات سنة ٦٧١هـ. انظر: الأعلام ٣٢٢/٥.

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن ٢٣/٩.

(٦) هو شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية، مات سنة ٧٢٨هـ انظر: الدرر الكامنة ١٤٤/١، والبداية والنهاية ١٣٥/١٤.

(٧) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٣٤٦/٤.

وفي موضع آخر قال: « وأيضاً فإبليس الذي هو أبو الجن، لم تكن معصيته تكذيبا»[1].

وقال أيضاً: « والشياطين هم مردة الإنس والجن، وجميع الجن ولد إبليس »[2].

وقد جزم ابن القيم[3] بأن إبليس أبو الجن في أكثر من موضع[4].

وقال ابن حجر[5] في حديثه عن الجن: « فقد اختلف في أصلهم، فقيل: إن أصلهم من ولد إبليس، فمن كان منهم كافراً سمي شيطاناً.

وقيل : إن الشياطين خاصة أولاد إبليس، ومن عداهم ليسوا من ولده ...»[6].

ثم رجح أن أصلهم من ولد إبليس، وأن الشياطين والجنّ «لمسمى واحد، وإنما صارا صنفين باعتبار الكفر والإيمان، فلا يقال لمن آمن منهم: إنه شيطان »[7].

---

(١) المصدر السابق ص ٤/ ٢٣٥.

(٢) المصدر السابق ٧/١٥، وانظر ٢٠/٨٨.

(٣) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله شمس الدين، مات سنة ٧٥١هـ. انظر: الدرر الكامنة ٣/٤٠٠ والأعلام ٦/٥٦.

(٤) انظر مفتاح دار السعادة ١/١٠٩،١٣٨.

(٥) هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، شهاب الدين ابن حجر، مات سنة ٨٥٢هـ، انظر: الأعلام ١/ ١٧٨.

(٦) فتح الباري ١٣/٧٦.

(٧) المصدر السابق ١٨/٣٢١.

وقال الرازي[1] : « والأصح أن الشيطان قسم من الجن، فكل من كان منهم مؤمناً فإنه لا يسمى بالشيطان، وكل من كان منهم كافراً يسمى بهذا الاسم »[2].

وممن رجح ذلك السعدي [3] في تفسيره [4].

---

(١) هو فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الطبرستاني مات سنة ٦٠٦هـ. انظر سير أعلام النبلاء ٢١/ ٥٠٠- ٥٠١. والأعلام ٦/٣١٣.

(٢) التفسير الكبير ١٠/١٨٤.

(٣) هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبداله السعدي التميمي، مات في عنيزة سنة ١٣٧٦هـ انظر الأعلام٣/٣٤٠.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٣٢، ٣٨٤، ٧٧٠.

المبحث الثاني
زمن خلقه

لا شك أن خلق إبليس متقدم على خلق آدم ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَأٍ مَّسْنُونٍ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴾ [الحجر: ٢٦، ٢٧].

قال الطبري في تفسير هذه الآية: « يقول تعالى ذكره: والجان، وقد بينا فيما مضى معنى الجان ولمَ قيل له جان، وعنى بالجان ههنا إبليس أبا الجن، يقول تعالى ذكره: وإبليس خلقناه من قبل الإنسان من نار السموم »، ثم روى عن قتادة[1] أنه قال: « والجان خلقناه من قبل وهو إبليس خلق قبل آدم، وإنما خلق آدم آخر الخلق... »[2].

وقال ابن كثير : « وقوله : ﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ ﴾ أي من قبل الإنسان »[3].

وقال الرازي : « وقوله تعالى : ﴿ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ ﴾ ، قال ابن عباس : يريد من قبل خلق آدم »[4].

قال السعدي : « فقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ﴾ أي آدم عليه السلام ﴿مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَأٍ مَّسْنُونٍ﴾ أي من طين قد يبس بعدما خمر حتى صار

---

(١) هو قتادة بن دعامة السدوسي الضرير الأكمه. مات سنة ١١٧هـ انظر: سير أعلام النبلاء ٥/٢٦٩-٢٨٣ والأعلام ٥/١٨٩.

(٢) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن ١٤/٢١.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢/٥٣٠.

(٤) التفسير الكبير ١٩/١٨٤.

له صلصلة وصوت كصوت الفخار، والحمأ المسنون : الطين المتغير لونه وريحه من طول مكثه، ﴿ وَالْجَانَّ ﴾ وهو أبو الجن أي إبليس ﴿ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ ﴾ خلق آدم ﴿ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴾ أي من النار الشديدة الحرارة»[1].

فالثابت أن إبليس خلق قبل آدم للدليل السابق، وكذلك يفهم من قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [ص: ٧١ - ٧٤].

أما متى خلق وفي أي يوم، وهل هو متقدم على الملائكة، ونحو ذلك مما أثير من أسئلة ومسائل كثيرة فلم يثبت فيها شيء.

ومما ورد :

- ما رُوي عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال: «خلق الله تعالى بني الجان قبل آدم بألفي سنة».

- وما روي أن إبليس وجنوده أقاموا في الأرض قبل خلق آدم أربعين سنة.

- وقيل كان خلقهم يوم الخميس.

- وروي أيضاً أن الله خلق الملائكة يوم الأربعاء، وخلق الجن يوم الخميس، وخلق آدم يوم الجمعة، فكفر قوم من الجن، فكانت الملائكة تهبط إليهم في الأرض فتقاتلهم، فكانت الدماء، وكان الفساد في الأرض، فمن ثم ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ [البقرة: ٣٠].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٣٨٤.

إلى غير ذلك من الآثار التي هي في أغلبها من الإسرائيليات، ولم يثبت منها شيء في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ [1].

وقد سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في هذه البلاد كيف عرفت الملائكة أن هذا الخليفة يفسد في الأرض، فكان الجواب هو: «لعل الملائكة عرفت أن هذا الخليفة سيفسد في الأرض ويسفك الدماء إما بعلم خاص من الله، أو بما فهموه من الطبيعة البشرية؛ فإنه أخبرهم أنه يخلق هذا الصنف من صلصال كالفخار، أو فهموه من الخليفة أنه الذي يفصل بين الناس ما يقع بينهم من المظالم، أو يردعهم عن المحارم والمآثم، وقيل إنهم علموا ذلك من أعمال الخلف الذين كانوا في الأرض قبل آدم » [2].

وقد تحدث أبو جعفر الطبري وابن كثير عن هذه المسألة بشيء من التفضيل خلاصته ما ورد في هذه الفتوى [3].

---

(١) انظر هذه الآثار وغيرها كثير - أعرضت عن ذكرها لعدم ثبوتها - في المصادر التالية: جامع البيان في تفسير القرآن ١/ ١٥٨-١٦٣، وتفسير القرآن العظيم ١/ ٦٩،٦٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١/ ٢٧٤،٢٧٥، وأحكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان ص١٤-١٦.

(٢) انظر فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ٤/ ١٥٤،١٥٥.

(٣) انظر جامع البيان في تفسير القرآن ١/ ١٦٣-١٦٤، وتفسير القرآن العظيم ١/ ٦٧ وانظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١/ ١١٨-١٢٠.

المبحث الثالث

مادة خلقه

خلق الله سبحانه وتعالى إبليس من نار، وقد دل على ذلك القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة.

فمن القرآن الكريم الآيات التالية:

١ - قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف: ١١، ١٢].

٢ - قوله تعالى: ﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴾ [الحجر: ٢٧].

قال أبو جعفر الطبري عند تفسيره هذه الآية: « وعُني بالجان ههنا إبليس أبا الجن، يقول تعالى ذكره : وإبليس خلقناه من قبل الإنسان من نار السموم »[١].

ثم إن إبليس من الجن بنص القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾. وقال الرازي: « أما قوله: ﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ ﴾ فاختلفوا في أن الجان من هو ؟ فقال عطاء عن ابن عباس: يريد إبليس، وهو قول الحسن ومقاتل[٢] وقتادة. وسمي جاناً لتواريه عن الأعين »[٣].

---

(١) جامع البيان فى تفسير القران ٢١/١٤.

(٢) هو مقاتل بن سليمان البلخي، مفسر، قال عنه الذهبي: " أجمعوا على تركه"، انظر سير أعلام النبلاء ٢٠٢،٢٠١/٧ الأعلام ٢٨١/٧.

(٣) التفسير الكبير ١٨٤/١٩.

وقال عبد الرحمن السعدي : « ... ﴿ وَالْجَانَّ ﴾ وهو أبو الجن: أي إبليس »[1].

قال أبو جعفر الطبري: « واختلف أهل التأويل في معنى نار السموم، فقال بعضهم: هي السموم الحارة التي تقتل » ونسب هذا القول إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - ثم قال: « وقال آخرون: يعني بذلك من لهب النار [ونسبه إلى الضحاك وغيره]، وقال بعضهم : الحرور بالنهار، والسموم بالليل »[2].

وقال عبد الرحمن السعدي: « ... ﴿ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴾ : أي من النار الشديدة الحرارة »[3].

٣ - قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ [ص: ٧٥، ٧٦].

٤ - قوله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ [الرحمن: ١٥].

قال البغوي[4]: « ... ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ ﴾ وهو أبو الجن، وقال الضحاك: هو إبليس»[5].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٣٨٤.

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن ١٤/ ٢١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٣٨٤.

(٤) هو الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي، مات سنة ٥١٦ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٣٩-٤٤٣، والأعلام ٢/ ٢٥٩.

(٥) معالم التنزيل، ٧/ ٤٤٤.

وقال عبد الرحمن السعدي: « ... ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ ﴾ أي: أبا الجن، وهو إبليس لعنه الله »[1].

فإبليس - كما في هذه الآية - خلق ﴿ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ أي من طرف لهبها وخالصها كما روى ذلك ابن كثير عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد وغيرهم[2].

وروى البغوي عن مجاهد أنه قال: هو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب الأحمر والأصفر والأخضر؛ الذي يعلو النار إذا أوقدت[3].

قال عبد الرحمن السعدي: « ... ﴿ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ أي من لهب النار الصافي، أو الذي قد خالطه دخان »[4].

وقد روى الحاكم في مستدركه عن ابن مسعود أنه قال: « هذه السموم جزء من سبعين جزءاً من السموم التي خلق منها الجان، ثم قرأ: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴾ ... »[5].

وقال الرازي: « معنى السموم في اللغة: الريح الحارة، تكون بالنهار وقد تكون بالليل ... قيل: سُميت سموماً؛ لأنها بلطفها تدخل في مسام البدن ... »[6].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٧٧٠.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ٤/ ٢٧٣.

(٣) انظر: معالم التنزيل، ٧/ ٤٤٤.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٧٧٠.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك، ٢/ ٤٧٤. وقال عنه: « صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ». وانظر: الجامع لأحكام القرآن، ١٠/ ٢٣.

(٦) التفسير الكبير، ١٩/ ١٨٤.

أما من السنة فقول الرسول ﷺ: (خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم)[1].

قال المناوي[2] في شرحه لهذا الحديث: «... (وخلق الجان من مارج من نار): أي من نار مختلطة بهواء مشتعل، والمرج الاختلاط، فهو من عنصرين: هواء ونار، كما أن آدم من عنصرين: تراب وماء، عجن به فحدث له اسم الطين، كما حدث للجن اسم المارج»[3].

قال الشنقيطي[4]: « قوله تعالى: ﴿ **قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ**﴾ ذكر في هذه الآية الكريمة: أن إبليس - لعنه الله - خلق من نار، وعلى القول بأن إبليس هو الجان الذي هو أبو الجن، فقد زاد في مواضع أخر أوصافاً للنار التي خلقه منها، من ذلك أنها نار السموم، كما في قوله: ﴿ **وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ**﴾، ومن ذلك أنها خصوص المارج، كما في قوله: ﴿ **وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ**﴾، والمارج أخص من مطلق النار؛ لأنه اللهب الذي لا دخان فيه.

وسميت نار السموم لأنها تنفذ في مسام البدن لشدة حرها، وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: (خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم) ... »[5].

---

(١) رواه مسلم، كتاب الزهد والرقاق، باب في أحاديث متفرقة، ٤/٢٢٩٤، ح (٢٩٩٦).

(٢) هو محمد بن عبد الرؤوف المناوي، ولد سنة ٩٥٢هـ، ومات سنة ١٠٣١هـ. انظر: الأعلام، ٦/ ٢٠٤.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٣/ ٤٥٠.

(٤) هو محمد المختار بن محمد الأمين الجكني الشنقيطي، عالم من بلاد موريتانيا، سكن المدينة النبوية. توفي سنة ١٤٠٥هـ. انظر: تتمة الأعلام، ٢/ ١٤٢-١٤٣.

(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ٢/ ٢٩٣.

المبحث الرابع

أصل إبليس

هل إبليس من الملائكة ؟.

اختلف العلماء في أصل إبليس، وهل هو من الملائكة أو من الجن ؟.

القول الأول : إن إبليس من الجن وليس من الملائكة.

القول الثاني: إنه من الملائكة، فلما استكبر وأبى عن السجود لآدم عليه السلام أُبلس من الخير، وصار شيطاناً.

أدلة القول الأول:

استدل القائلون بأن إبليس لم يكن من الملائكة وإنما هو من الجن بما يأتي :

١ - إخبار الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم بأنه خلق إبليس من نار، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ ، وثبت في سنة المصطفى ﷺ أن الملائكة خلقت من نور: (خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار)، فدل ذلك على اختلاف أصليهما، إذ في حديث واحد فرّق الرسول ﷺ بين المادة التي خلقت منها الملائكة وهي النور، والمادة التي خلق منها الجان وهي مارج من نار.

روى ابن جرير عن الحسن البصري أنه قال: « ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجن كما أن آدم أصل الإنس».

وروى عن شهر بن حوشب[1] أنه قال: «كان إبليس من الجن الذين طردتهم الملائكة، فأسره بعض الملائكة فذهب به إلى السماء »[2].

فاختلاف المادة التي خلق منها إبليس، وهي النار، عن المادة التي خلقت منها الملائكة وهي النور يدل دلالة واضحة على أن إبليس ليس من الملائكة.

٢ - أخبر الله سبحانه وتعالى بنص القرآن أن إبليس من الجن، قال تعالى:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ [الكهف: ٥٠].

فالآية صريحة الدلالة على أن إبليس من الجن، فلا يجوز أن يُنسب إلى غير ما نسبه الله إليه، روى السيوطي عن ابن شهاب[3] أنه قال: «فإبليس أبو الجن كما أن آدم أبو الإنس، وآدم من الإنس وهو أبوهم، وإبليس من الجن وهو أبوهم، وقد تبين للناس ذلك حين قال الله تعالى: **﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي ﴾**»[4].

---

(١) هو شهر بن حوشب الشامي، مولى الصحابية أسماء بنت يزيد الأنصارية، أحد التابعين، توفي سنة ١٠٠ هـ، وقيل: ١١١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٧٢ – ٣٧٨، والأعلام ٣/ ١٧٨.

(٢) انظر قولي الحسن وشهر في: جامع البيان في تفسير القرآن ١/ ١٧٩، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٨٧، والبداية والنهاية ١/ ٧٩.
وبعد أن نقل ابن كثير قول الحسن قال: « وهذا إسناد صحيح عن الحسن. وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم سواء ».

(٣) هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، من كبار التابعين. مات سنة ١٢٤ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٢٦-٣٥٠، والأعلام ٧/ ٩٧ .

(٤) رواه أبو الشيخ في العظمة ٥/ ١٦٤٤، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧/ ٢٣٦٧،

قال ابن كثير: « ونبه تعالى هھنا على أنه من الجن، أي على أنه خلق من نار، كما قال : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ فامتثل الملائكة كلهم ذلك [السجود لآدم عليه السلام] سوى إبليس، ولم يكن منهم جنساً، كان من الجن فخانه طبعه »[١].

وقال الزمخشري : « قوله : ﴿ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ كلام مستأنف جار مجرى التعليل بعد استثناء إبليس من الساجدين، كأن قائلاً قال : ما له لم يسجد ؟ فقيل : كان من الجن »[٢].

وقال الشنقيطي في تفسير هذه الآية: « وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ ظاهر في أن سبب فسقه عن أمر ربه كونه من الجن، وقد تقرر في الأصول في « مسلك النص » ، وفي « مسلك الإيماء والتنبيه » أن الفاء من الحروف الدالة على التعليل كقولهم: سرق فقطعت يده ؛ أي لأجل سرقته، وسها فسجد، أي لأجل سهوه، ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ [المائدة: ٣٨] أي لعلة سرقتهما، وكذلك قوله هنا : ﴿ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ أي لعلة كينونته من الجن ؛ لأن هذا الوصف فرق بينه وبين الملائكة ؛ لأنهم امتثلوا الأمر وعصى هو ... وأظهر الحجج في المسألة حجة من قال: إنه غير ملك ؛ لأن قوله تعالى: ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ ﴾ الآية، وهو أظهر شيء في

وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٢٧.

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٨٧، ٤/ ٤٤.

(٢) الكشاف ٢/ ٧٢٧.

الموضوع من نصوص الوحي »[1].

وقال الرازي: « قوله : ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ يشعر بتعليل تركه للسجود لكونه جنياً، ولا يمكن تعليل ترك السجود بكونه خازناً للجنـة»[2].

وقال ابن عثيمين: « فعلل فسقه عن أمر ربه بكونه من الجن »[3].

ففي هذه الآية ثبت أن إبليس ﴿ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾، وقد ثبت الفرق بين الملائكة والجن بنص قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١].

« وهذه الآية صريحة في الفرق بين الجن والملك »[4].

٣ - أخبر الله عن الملائكة بأنهم معصومون، ووصفهم بأنهم ﴿ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[التحريم: ٦]، وأنهم ﴿لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧].

ففي هذه الآيات نفى الله تعالى عن الملائكة المعصية نفياً تاماً، أما إبليس فإنه خالف أمر الله تعالى وعصى، وامتنع عن السجود لآدم عليه السلام، فدل ذلك على أن إبليس ليس من الملائكة[5].

قال الزمخشري: « كان من الجن ﴿ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾، والفاء

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٤/ ١١٩-١٢١.

(٢) التفسير الكبير ١/ ٢٣٢.

(٣) المجموع الثمين ١/ ١٤٠.

(٤) التفسير الكبير ١/ ٢٣٢.

(٥) انظر: البحر المحيط ١/ ١٥٣.

للتسبيب، جعل كونه من الجن سبباً في فسقه؛ لأنه لو كان ملكاً كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن أمر ربه ؛ لأن الملائكة معصومون ألبتة، لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والإنس، كما قال : ﴿ **لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ** ﴾ »[1].

وقال الآلوسي[2]: « هذا ظاهر في أنه ليس من الملائكة، ويشق الجواب على من ادعى أنه منهم مع كونهم معصومين، ولا بد أن يرتكب خلاف الظاهر في هذه الآية »[3].

وقال ابن عثيمين: « إبليس ليس من الملائكة؛ لأن إبليس خلق من نار والملائكة خلقت من نور؛ ولأن طبيعة إبليس غير طبيعة الملائكة، فالملائكة وصفهم الله تعالى بأنهم ﴿ **وَمَنْ عِندَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ** ﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠]، أما الشيطان فإنه على العكس من ذلك ؛ فإنه كان مستكبراً كما قال تعالى: ﴿ **إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** ﴾ [البقرة: ٣٤] »[4].

٤ - أن الملائكة لا ذرية لهم ؛ لأن الذرية إنما تحصل من الذكر والأنثى، وقد نفى الله عن الملائكة أن يكونوا إناثاً، كما قال تعالى : ﴿ **وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ** ﴾ [الزخرف: ١٩]. فإذا انتفت الأنوثة انتفى التوالد،

---

(١) الكشاف ٢/ ٧٢٧.

(٢) هو شهاب الدين السيد محمود بن عبد الله الآلوسي البغدادي. توفي سنة ١٢٧٠هـ. انظر: الأعلام ٧/ ١٧٦.

(٣) روح المعاني ١٥/ ٢٩٢-٢٩٣.

(٤) المجموع الثمين ١/ ١٣٨- ١٣٩.

فانتفت الذرية [1].

أما إبليس فإن له ذرية بدليل قوله تعالى : ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي ﴾، فهذا صريح في إثبات الذرية له.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « فإن الإنس والجن مشتركون مع كونهم أحياء ناطقين مأمورين منهيين؛ فإنهم يأكلون ويشربون، وينكحون وينسلون، ويغتذون وينمون بالأكل والشرب، وهذه الأمور مشتركة بينهم، وهم يتميزون بها عن الملائكة؛ فإن الملائكة لا تأكل ولا تشرب ولا تنكح ولا تنسل» [2].

٥ - ومما ذكروه من الأدلة : أن الملائكة رسل ؛ لقوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً ﴾ [فاطر: ١]، ورسل الله معصومون لقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، فلما لم يكن إبليس كذلك وجب ألا يكون من الملائكة [3].

أدلة القول الثاني:

استدل القائلون بأن إبليس كان من الملائكة بما يأتي :

١ - قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤] ونظائرها من الآيات [4] التي

---

(١) انظر: التفسير الكبير ١/ ٢١٤، ومحاسن التأويل ٢/ ١٠٣.

(٢) مجموع الفتاوى ١٦/ ١٩٢.

(٣) انظر: التفسير الكبير ١/ ٢٣٣.

(٤) سورة الأعراف، الاية١١، سورة ص، الآيات ٧٣-٧٤، الكهف، الآية ٥٠ .

استثني فيها إبليس من الملائكة، فدل على أنه منهم، وقالوا: الأصل في الاستثناء الاتصال؛ بأن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه.

٢ - قالوا: لو لم يكن إبليس من الملائكة لما كان قوله: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ ﴾ متناولاً له، ولو لم يكن متناولاً له لاستحال أن يكون تركه للسجود إباء واستكباراً ومعصية، ولما استحق الذم والعقاب، وحيث حصلت هذه الأمور علمنا أن ذلك الخطاب يتناوله، ولا يتناوله ذلك الخطاب إلا إذا كان من الملائكة.

٣ - وقالوا بأن الملائكة يطلق عليهم اسم الجن، كما في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ [الصافات: ١٥٨]

فالمراد بالجِنَّة هنا الملائكة؛ حيث زعمت قريش أن الملائكة بنات الله(١).

وقد رجح هذا القول أبو جعفر الطبري حيث قال: « ثم استثنى من جميعهم إبليس، فدل باستثنائه منهم على أنه منهم، وأنه ممن قد أمر بالسجود معهم كما قال جل ثناؤه: ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ [الأعراف: ١١، ١٢]، فأخبر - جل ثناؤه - أنه قد أمر إبليس فيمن أمره من الملائكة بالسجود لآدم، ثم استثناه - جل ثناؤه - مما أخبر عنهم أنهم فعلوه من السجود لآدم فأخرجه من الصفة التي وصفهم بها من الطاعة لأمره، ونفى عنه ما أثبته لملائكته من السجود

---

(١) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن ١/ ١٧٧- ١٨٠. وانظر أيضاً: تفسير غرائب القرآن للنيسابوري، وهو مطبوع بهامش جامع البيان ١/ ١٤٢.

لعبده آدم »[1].

ثم روى أبو جعفر بعض الآثار التي تؤيد هذا القول، فروى عن ابن عباس أنه قال :

١ - « كان إبليس من حي من أحياء الملائكة يقال لهم الجن، خلقوا من نار السموم من بين الملائكة، فكان اسمه الحارث، وكان خازناً من خزان الجنة، وخلقت الملائكة من نور غير هذا الحي، وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار، وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا التهب ».

٢ - « كان إبليس قبل أن يركب المعصية من الملائكة اسمه عزازيل، وكان من سكان الأرض، وكان من أشد الملائكة اجتهاداً وأكثرهم علماً، فذلك دعاه إلى الكبر، وكان من حي يسمون جناً ».

٣ - «كان ملكاً من الملائكة اسمه عزازيل، وكان من سكان الأرض وعمارها، وكان سكان الأرض فيهم يسمون الجن من بين الملائكة ».

٤ - « كان إبليس من أشراف الملائكة وأكرمهم قبيلة، وكان خازناً على الجنان، وكان له سلطان سماء الدنيا، وكان له سلطان الأرض ».

٥ - « لو لم يكن من الملائكة لم يؤمر بالسجود ».

٦ - « كان إبليس من الملائكة، فلما عصى الله غضب عليه فصار شيطاناً».

كما روى عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ: « جعل إبليس على مُلْك سماء الدنيا، وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم: الجن، وإنما سموا الجن؛ لأنهم خزان الجنة، وكان إبليس مع ملكه خازناً ».

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن ١/ ١٧٩.

وروى عن سعيد بن المسيب[1]. أنه قال: « كان إبليس رئيس ملائكة سماء الدنيا ».

وروى عن قتادة أنه قال: « كان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن».

وروى عن محمد بن إسحق[2]. أنه قال: « أما العرب فيقولون: ما الجن إلا كل ما اجتن فلم يروا، أما قوله: ﴿ **إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ** ﴾ أي كان من الملائكة، وذلك أن الملائكة اجتنوا فلم يروا »[3]..

وقد ذكر هذه الآثار وغيرها ابن كثير أيضاً، ثم علّق عليها مبيناً أن غالب ما يذكر في هذا الموضوع من الإسرائيليات، فقال رحمه الله: « فهذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السدي، ويقع فيه إسرائيليات كثيرة، فلعل بعضها مدرج ليس من كلام الصحابة، أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة، والله أعلم »[4].

وقال في موضع آخر: « وقد روي في هذا آثار كثيرة عن السلف، وغالبها من الإسرائيليات التي تنقل لينظر فيها، والله أعلم بحال كثير منها، ومنها ما قد يقطع بكذبه لمخالفته للحق الذي بأيدينا، وفي القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة؛ لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان، وقد وضع فيها أشياء كثيرة، وليس لهم من الحفاظ

---

(١) هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن مخزوم، من كبار التابعين. مات سنة ٩٤ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٢١٧- ٢٤٦، والأعلام ٣/ ١٠٢.

(٢) هو محمد بن إسحق بن يسار. مات سنة ٢٥١ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٣-٥٥، والأعلام ٦/ ٢٨.

(٣) انظر هذه الآثار في: جامع البيان في تفسير القرآن١/ ١٨٠، والجامع لأحكام القرآن ١/ ٢٩٤-٢٩٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم ١/ ٧٤، وانظر: ٢/ ٥٣١.

المتقنين الذين ينفون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين كما لهذه الأمة من الأئمة والعلماء والسادة والأتقياء، والبررة والنجباء من الجهابذة والنقاد، والحفاظ الجياد الذين دونوا الحديث وحرروه، وبينوا صحيحه من حسنه من ضعيفه من منكره وموضوعه ومتروكه ومكذوبه، وعرفوا الوضاعين والكذابين والمجهولين، وغير ذلك من أصناف الرجال، كل ذلك صيانة للجانب النبوي والمقام المحمدي، خاتم الرسل، وسيد البشر ﷺ أن ينسب إليه كذب، أو يحدث عنه بما ليس منه، فرضي الله عنهم وأرضاهم، وجعل جنات الفردوس مأواهم، وقد فعل »[١].

أجوبتهم على أدلة القول الأول، ونقضها:

أجابوا عن أدلة القول الأول بما يأتي:

الجواب الأول :

قالوا بأنه « غير مستنكر أن يكون الله - جل ثناؤه - خلق أصناف ملائكته من أصناف من خلقه شتى، فخلق بعضاً من نور، وبعضاً من نار، وبعضاً مما شاء من غير ذلك، وليس فيما أنزل الله - جل ثناؤه - الخبر عما خلق منه ملائكته، وإخباره عما خلق منه إبليس ما يوجب أن يكون إبليس خارجاً عن معناهم؛ إذ كان جائزاً أن يكون خلق صنفاً من ملائكته من نار كان منهم إبليس، وأن يكون أفرد إبليس بأن خلقه من نار السموم دون سائر ملائكته »[٢].

النقض :

---

(١) المصدر السابق ٣/ ٨٧.

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن ١/ ١٨٠. وانظر: روح المعاني ١/ ٢٢٨.

هـذا القول غير ثابت شرعاً؛ لا في كتاب الله تعالى ولا سنة رسول الله ﷺ، وهذه المسألة الغيبية تحتاج إلى نقل صحيح، فمثلها لا يقال بالاجتهاد والرأي، ولا يعتمد في مثلها على الإسرائيليات والآثار غير الثابتة.

ولهذا علّق القرطبي على هذا القول قائلاً: «هذا فيه نظر؛ لأنه يحتاج إلى سند يقطع؛ إذ مثله لا يقال من جهة الرأي، وقد خرّج مسلم من حديث عروة عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ : (خُلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم)[1].، فقوله: (خلقت الملائكة من نور) يقتضي العموم »[2].

الجواب الثاني :

أما الاستدلال بأنه ﴿ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ فقالوا: المراد أنه كان خازن الجنة، أو من قبيلة من الملائكة يقال لهم: الجن، أو أن المراد: من الملائكة؛ لأن الملائكة يسمون جناً لاجتنانهم عن أبصار بني آدم، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا ﴾[الصافات: ١٥٨] ، وهو قولهم: الملائكة بنات الله، وقال بعضهم : يجوز أن تكون (كان) بمعنى صار، أي مسخ وصار جنياً[3].

النقض :

---

(١) سبق تخريجه ص ٣٩ هامش (١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٢٣- ٢٤.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم ٣/ ٧٨، والجامع لأحكام القرآن ١/ ٢٩٥، وروح المعاني ١/ ٢٢٩، وجامع البيان في تفسير القرآن ١/ ١٨٠.

أولاً: لم يثبت بنص من كتاب الله تعالى ولا من سنة رسول الله ﷺ أنه كان خازن الجنة، أو أنه من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن، ومثل هذه المسألة الغيبية لا يقال فيها بالرأي والاجتهاد، ولا يعتمد في مثلها إلا على نص نقلي ثابت، ولا نص.

ثانياً: أما الاستدلال بقوله تعالى : ﴿ **وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً** ﴾ وأن الملك يسمى جناً بحسب اللغة؛ فإن بعض الكفار أثبت ذلك النسب للجن كما أثبته للملائكة، وإذا كان الملك يسمى جناً بحسب أصل اللغة، فإن لفظ الجن بحسب الاصطلاح الشرعي اختص بغيرهم، كما أن لفظ الدابة يتناول كل ما يدب بحسب اللغة الأصلية، ولكن بحسب العرف اختص ببعض ما يدب، فتحمل هذه الآية على اللغة الأصلية ، والآية التي في سورة الكهف ﴿ **كَانَ مِنَ الْجِنِّ** ﴾ على الاصطلاح الشرعي[1].

قال ابن القيم : « الصحيح أن الجنة في هذه الآية الجن أنفسهم كما قال تعالى : ﴿ **مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ** ﴾ [الناس: ٦] »[2].

وبهذا يتضح أن (الجنة) في الآية يترجح حملها على الجن، ولا يقطع بحملها على الملائكة[3].

ثالثاً: أما من قال (كان) بمعنى صار، أي مسخ جناً؛ فإنه صَرْفٌ للفظ عن ظاهره من غير قرينة، والأصل حمله على الظاهر، قال الرازي معقباً على هذا القول : « هذا خلاف الظاهر، فلا يصار إليه

---

(١) انظر: التفسير الكبير ١/ ٢٣٢.

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص ٨١.

(٣) انظر: فتاوى السبكي ٢/ ٦١٣، والجن في القرآن والسنة ص ٧٨.

إلا عنـد الضـرورة »[1].

ثم إن قوله تعالى : ﴿ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ يشعر بتعليل تركه للسجود لكونه جنياً، ولا يمكن تعليل ترك السجود بكونه خازناً للجنة، فيبطل بذلك قول من قال: (كان من الجن) أي صار من الجن[2].

قال الشنقيطي : « وما يذكره المفسرون عن جماعة من السلف كابن عباس وغيره من أنه كان من أشراف الملائكة ومن خزان الجنة، وأنه كان يدبر أمر السماء الدنيا، وأنه كان اسمه عزازيل، كله من الإسرائيليات التي لا معول عليها »[3].

وقد سبق قبل قليل ذكر قول ابن كثير، وتعليقه على تلك الروايات الإسرائيلية.

الجواب الثالث :

وأما قوله تعالى: ﴿ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ ﴾ فقالوا: يحمل على عصمة طائفة من الملائكة لا جميعهم، وكذلك قوله تعالى : ﴿ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً ﴾ يعارضه قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ ﴾ [الحج: ٧٥]، ويفهم منه أن العصمة للمرسلين من الملائكة دون غيرهم[4].

النقض :

قصر العصمة على المرسلين من الملائكة فقط لا دليل عليه؛ بل

(١) التفسير الكبير ١/ ٢٣٢.

(٢) انظر: المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٤/ ١٢٠-١٢١.

(٤) انظر: مجمع البيان في تفسير القرآن ١/ ٨٢.

الأصل الذي عليه ظاهر الآية هو عصمتهم جميعاً، ولا يفهم من كون بعضهم غير مرسل خروجه من الطاعة، أو جواز المعصية عليه.

قال القاضي عياض[1]: « والصواب عصمة جميعهم، وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبتهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ....، فمما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم... قصة إبليس، وأنه كان من الملائكة... وهذا أيضاً لم يتفق عليه؛ بل الأكثر ينفون ذلك لأنه أبو الجن كما آدم أبو الإنس ... »[2].

الجواب الرابع :

أما الاستدلال بأن له ذرية فقالوا : ركب الله فيه الشهوة واللذة التي نزعت من سائر الملائكة لما أراد الله به من المعصية؛ تغليظاً عليه في التكليف، وجعل الله له ذرية بعد أن أخرجه من الملائكة [3].

وقال بعضهم : لا دليل على أن الصنف من الملائكة الذين خلقوا من نار السموم لا يتوالدون[4].

وقال بعضهم بأنه ليس له ذرية ولا أولاد، وأن المراد بذريته أعوانه من الشياطين[5].

---

(١) هو عياض بن موسى اليحْصبي الأندلسي، مات سنة ٥٤٤ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢١٢-٢١٨، والأعلام ٥/ ٩٩.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢/ ٣٩٨- ٣٩٩، و٢/ ٤٠٤.

(٣) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن ١/ ١٨٠، ومحاسن التأويل ٢/ ١٠٤.

(٤) جامع البيان في تفسير القرآن ١/ ١٨٠.

(٥) انظر: محاسن التأويل ٢/ ١٠٤.

النقـض :

هذه مسألة غيبية لا مجال للرأي والاجتهاد فيها، والاحتمال الذي ذكروه مع بُعده يحتاج إلى دليل، ولا دليل.

فكيف يعتقد بتخصيصه بهذا الأمر مع كونه ملكاً - فرضاً - من دون دليل صحيح.

الترجيح مع مناقشة أدلة القول الآخر:

القول الراجح هو الأول، وهو أن إبليس من الجن وليس من الملائكة؛ لقوة أدلتهم، وهو مقتضى النصوص الشرعية.

أما الاستدلال باستثنائه من الملائكة؛ فإن الاستثناء هنا استثناء منقطع، كما يقول النحويون: جاء القوم إلا حماراً، فاستثني الحمار من القوم وإن لم يكن منهم.

ونظائر هذا في القرآن كثير مثل قوله تعالى : ﴿ **مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ** ﴾ [النساء: ١٥٧]، وقوله : ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي** ﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧]، وقوله: ﴿ **لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا إِلاَّ قِيلاً سَلامًا سَلامًا** ﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦]، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي تضمنت استثناء منقطعاً.

والاستثناء المنقطع مشهور في كلام العرب، مثل قولهم: « سار الناس إلا الأثقال »، وقولهم: « ارتحل العسكر إلا الأبنية والخيام »[(١)].

واستثناء الله تعالى إبليس من الملائكة لا يدل على كونه من جملتهم،

---

(١) انظر: كتاب الأضداد لابن الأنباري ص ٢٩٥.

وإنما استثناه منهم؛ لأنه كان معهم حينذاك، وكان مأموراً بالسجود معهم، فلما دخل معهم في الأمر جاز إخراجه بالاستثناء منهم.

قال الزمخشري : « كان جنياً واحداً بين أظهر الألوف من الملائكة مغموراً بهم ، فغلبوا عليه في قوله : ﴿ فَسَجَدُوا ﴾ ثم استثني منهم استثناء واحد منهم »[1].

وقال في موضع آخر: « إنما تناوله الأمر، وهو للملائكة خاصة؛ لأن إبليس كان في صحبتهم، وكان يعبد الله عبادتهم، فلما أمروا بالسجود لآدم والتواضع له كرامة له، كان الجنيّ الذي معهم أجدر بأن يتواضع »[2].

قال ابن كثير : « والغرض أن الله لما أمر الملائكة بالسجود لآدم دخل إبليس في خطابهم ؛ لأنه وإن لم يكن من عنصرهم إلا أنه كان قد تشبه بهم، وتوسم بأفعالهم؛ فلهذا دخل في الخطاب لهم، وذم في مخالفة الأمر»[3].

وقال في موضع آخر: « وذلك أنه كان قد توسم بأفعال الملائكة وتشبه بهم، وتعبد وتنسك؛ فلهذا دخل في خطابهم، وعصى بالمخالفة»[4].

وقال ابن عثيمين: « ولكن لما وجه الخطاب إلى الملائكة بالسجود لآدم، وكان إبليس من بينهم - أي معهم مشاركاً لهم في العبادة، وإن كان قلبه ، والعياذ بالله، منطوياً على الكفر والاستكبار - صار الخطاب متوجهاً إلى

---

(١) الكشاف ١/ ١٢٧.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٥٥٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم ١/ ٧٤.

(٤) المصدر السابق ٣/ ٨٧.

الجميع؛ فلهذا صح استثناؤه منهم فقال تعالى : ﴿ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ »[1].

وقال في موضع آخر : « إبعاد المسلم عن المشركين لئلا يصير منهم ولو لم يشرك؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٩]، ولم يقل: وما أنا بمشرك ؛ لأنه إذا كان بينهم ولو لم يكن مشركاً فهو في ظاهره منهم ؛ ولهذا قال الله للملائكة : ﴿ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ ﴾ توجه الخطاب له ولهم »[2].

وقال أيضاً: « فأما قوله تعالى: ﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلاَّ إِبْلِيسَ ﴾ [الحجر: ٣٠، ٣١]، فإنما استثناه لأنه كان معهم حينذاك وليس منهم، ويبين ذلك قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ فعلل فسقه عن أمر ربه بكونه من الجن، ولو كان الملائكة من الجن لأمكن أن يفسقوا عن أمر ربهم كما فسق إبليس، وهذا الاستثناء يسمى استثناء منقطعاً كما يقول النحويون: جاء القوم إلا حماراً، وهو كلام عربي فصيح، فاستثني الحمار من القوم وإن لم يكن منهم»[3].

وقبل ذلك قال ابن تيمية: « ولم يكن في المأمورين بالسجود أحد من الشياطين، لكنّ أبوهم إبليس هو كان مأموراً فامتنع وعصى.

وجعله بعض الناس من الملائكة؛ لدخوله في الأمر بالسجود، وبعضهم من الجن؛ لأن له قبيلاً وذرية؛ ولكونه خلق من نار، والملائكة خلقوا من نور.

---

(١) المجموع الثمين ١/ ١٣٩.

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد ١/ ١٣٧.

(٣) المجموع الثمين ١/ ١٤٠، وفتاوى الشيخ محمد الصالح العثيمين ١/ ٧٨.

والتحقيق: أنه كان منهم باعتبار صورته، وليس منهم باعتبار أصله، ولا باعتبار مثاله، ولم يخرج من السجود لآدم أحد من الملائكة »[1].

فإبليس كان مغموراً بين العدد الكثير من الملائكة، وكان يتعبد معهم، ويتشبه بهم، فاستثني منهم ؛ لأنه تبع لهم كالحليف في القبيلة يطلق عليه اسمها[2].

قال ابن القيم: « الصواب التفصيل في هذه المسألة، وأن القولين في الحقيقة قول واحد؛ فإن إبليس كان مع الملائكة في صورته، وليس منهم بمادته وأصله، وكان أصله من نار، وأصل الملائكة من نور؛ فالنافي كونه من الملائكة والمثبت لم يتواردا على محل واحد »[3].

ويفهم من ابن القيم أن إبليس من الجن وليس من الملائكة؛ لأن الخلاف في المسألة حول مادته وأصله.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: « إن أول ذنب عصي الله به كان في أبي الجن وأبي الإنس، أبوي الثقلين المأمورين، وكان ذنب أبي الجن أكبر وأسبق، وهو ترك المأمور به - وهو السجود - إباءً واستكباراً، وذنب أبي الإنس كان ذنباً صغيراً ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧]، وهو إنما فعل المنهي عنه، وهو الأكل من الشجرة »[4].

هذا وقد سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء عن إبليس: هل هو من الملائكة أو لا ؟

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٤/ ٣٤٦.

(٢) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٤/ ١٢٠.

(٣) نقلاً عن محاسن التأويل ٣/ ١٠٤.

(٤) مجموع الفتاوى ٢٠/ ٨٨.

فكان الجواب كما يلي:

« لا يخفى أن الملائكة جنس من مخلوقات الله خلقهم الله من نور، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وأما إبليس فقد ذكر الله تعالى أنه من الجن، قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ** ﴾، وذكر تعالى عنه قوله في تبرير امتناعه عن السجود لآدم : ﴿ **خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ** ﴾، أما وجه الاستثناء في قوله تعالى : ﴿ **فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلاَّ إِبْلِيسَ** ﴾ فهو استثناء منقطع، كقول القائل : جاء القوم إلا حماراً، وهناك من أهل العلم من يقول بأن إبليس لعنه الله من جنس الملائكة إلا أنه عصى الله تعالى وأصر على التمرد والعصيان، فحقت عليه لعنة الله إلى يوم القيامة »[1].

وفي فتوى أخرى كان الجواب ما يلي :

« إبليس من الجن وليس من الملائكة، قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ** ﴾ الآية من سورة الكهف، وقال تعالى في سورة الرحمن : ﴿ **خَلَقَ الإنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ** ﴾، وقال ﷺ: (خُلقت الملائكة من نور، وخلق إبليس من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم) رواه مسلم. وقال الحسن

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ٣/ ٣٦٨.

البصري: « ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجن، كما أن آدم عليه السلام أصل البشر » رواه ابن جرير بإسناد صحيح عنه، ولكن خان إبليسَ الطبع، وذلك أنه كان مع الملائكة وتشبه بهم وتعبد وتنسك، ولهذا دخل في خطابهم، وعصى بمخالفة أمر الله بالسجود »[1].

(١) المصدر السابق ص ٣٧١.

المبحث الخامس

حقيقة سجود الملائكة لآدم عليه الصلاة والسلام

لا شك أن سجود الملائكة لآدم ليس سجود عبادة؛ لأن سجود العبادة لغير الله شرك بالله تعالى.

واختلف في حقيقة ذلك السجود على ثلاثة أقوال:

الأول: أنه سجود تحية وسلام وإكرام وتعظيم.

الثاني: أن السجود كان لله تعالى وآدم مجرد قبلة، قالته المعتزلة وغيرهم.

الثالث: أن المراد بذلك السجود هو الانقياد والخضوع، لا حقيقة السجود والانحناء.

والصحيح هو الأول ، وهو أن السجدة كانت لآدم عليه السلام تعظيماً له وتحية كالسلام منهم عليه.

قال أبو جعفر الطبري: « وكان سجود الملائكة لآدم تَكْرِمةً وطاعة لله، لا عبادة لآدم »[1]. ثم نقل عن قتادة قوله : « فكانت الطاعة لله، والسجدة لآدم، أكرم الله آدم أن أسجد له ملائكته »[2].

وقال الطبري في موضع آخر : « يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ : واذكر يا محمد إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون، فإذا سويته، يقول فإذا صورته فعدلت صورته، ونفخت فيه من روحي، فصار بشراً حياً فقعوا له ساجدين سجود تحية وتكرمة، لا سجود عبادة »[3].

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن ١/ ١٨١.

(٢) المصدر السابق، الصفحة نفسها. وانظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ٧٥.

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن ١٤/ ٢٢.

وقال ابن تيمية: « وكذلك قصة سجود الملائكة كلهم أجمعين لآدم، ولعن الممتنع عن السجود له، وهذا تشريف وتكريم له ... ، فسجود الملائكة لآدم عبادة لله وطاعة له، وقربة يتقربون بها إليه، وهو لآدم تشريف وتكريم وتعظيم، وسجود إخوة يوسف له تحية وسلام، ألا ترى أن يوسف لو سجد لأبويه تحية لم يكره له»(١).

وقال ابن كثير: « والسجدة لآدم إكراماً وإعظاماً واحتراماً وسلاماً، وهي طاعة لله - جلا وعلا - ؛ لأنها امتثال لأمره تعالى »(٢).

وقال في موضع آخر: « ... ﴿ اسْجُدُوا لآدَمَ ﴾ أي سجود تشريف وتكريم وتعظيم ...»(٣).

وقال القرطبي : « واختلف الناس في كيفية سجود الملائكة لآدم، بعد اتفاقهم على أنه لم يكن سجود عبادة، فقال الجمهور: كان هذا أمراً للملائكة بوضع الجباه على الأرض، كالسجود المعتاد في الصلاة؛ لأنه الظاهر في السجود في العُرف والشرع، وعلى هذا قيل كان ذلك السجود تكريماً لآدم وإظهاراً لفضله، وطاعة لله تعالى ... »(٤).

والقرطبي - رحمه الله - جمع بين القولين : الأول و الثاني ، فقال : « كان ذلك السجود تكريماً لآدم، وإظهاراً لفضله، وطاعة لله تعالى، وكان آدم كالقبلة لنا » وقال : « إن معنى ﴿ اسْجُدُوا لآدَمَ ﴾ اسجدوا لي مستقبلين وجه آدم، وكقوله : ﴿ فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ أي فقعوا لي عند إتمام

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٤/ ٣٥٨، ٣٦٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم ١/ ٧٥ . وانظر قول ابن القيم في بدائع الفوائد ٢/ ١٣٨.

(٣) المصدر السابق ٣/ ٨٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٢٩٣.

خلقه ومواجهتكم إياه ساجدين »[1]. وهذا ليس صحيحاً، فليس آدم بالنسبة للملائكة كالقبلة لنا، كما سيأتي الرد على هذا القول بعد قليل.

والخلاصة أن سجود الملائكة لآدم كان سجود تشريف وتكريم لا سجود عبادة، وقد كان السجود تحية مشروعة في الأمم الماضية، ولكنه نسخ في ملتنا، كما قال تعالى: ﴿ **وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا** ﴾ [يوسف: ١٠٠]، روى ابن كثير عن قتادة في قوله : ﴿ **وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا** ﴾: كانت تحية الناس يومئذ سجود بعضهم لبعض[2].

روى ابن ماجه أن معاذ بن جبل رضي الله عنه رأى النصارى تسجد لبطارقتها وأساقفتها، ففكر في نفسه أن رسول الله ﷺ أحق أن يعظم، فلما قدم قال: يا رسول الله رأيت النصارى تسجد لبطارقتها وأساقفتها، فروّأت [أي فكرت] في نفسي أنك أحق أن تعظم، فقال : (لو كنت أمرت أحداً أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها...) »[3]. ولم يقل أحد بأن المراد: أن تجعل زوجها قبلة، أو أن تعبد زوجها.

أما القول بأن السجود كان لله تعالى، وكان آدم مجرد قبلة، كما أن الكعبة قبلة المسلمين، فهو قول بعيد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « وقد قال بعض الأغبياء: إن السجود إنما كان لله، وجعل آدم قبلة لهم، يسجدون إليه كما يسجدون إلى الكعبة؛

---

(١) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ٧٥، والتفسير الكبير ١/ ٢٣١.

(٣) رواه ابن ماجه في كتاب النكاح، باب حق الزوج على المرأة، ح ١٨٥٣. وابن حبان، ح ١٣٩٠، والبيهقي ٧/ ٢٩٢. وقال الألباني: (حسن صحيح). انظر : صحيح ابن ماجه، ح ١٥٠٣.مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤/ ٣٥٨- ٣٥٩.

وليس في هذا تفضيل له عليهم؛ كما أن السجود إلى الكعبة ليس فيه تفضيل للكعبة على المؤمن عند الله؛ بل حرمة المؤمن عند الله أفضل من حرمتها.

وقالوا : السجود لغير الله محرم، بل كفر.

والجواب: أن السجود كان لآدم بأمر من الله وفرضه بإجماع من يسمع قوله، ويدل على ذلك وجوه :

أحدها: قوله : (لآدم) ولم يقل : إلى آدم، وكل حرف له معنى، ومن التمييز في اللسان أن يقال : سجدت له، وسجدت إليه...

وأجمع المسلمون على أن السجود لغير الله محرم، وأما الكعبة فقد كان النبي ﷺ يصلي إلى بيت المقدس، ثم صلى إلى الكعبة، وكان يصلي إلى عَنَزَة، ولا يقال لعنزة... والساجد للشيء يخضع له بقلبه، ويخشع له بفؤاده، وأما الساجد إليه فإنما يولي وجهه وبدنه إليه ظاهراً، كما يولي وجهه إلى بعض النواحي إذا أمه ...

والثاني: أن آدم لو كان قبلة لم يمتنع إبليس من السجود، أو يزعم أنه خير منه؛ فإن القبلة قد تكون أحجاراً، وليس في ذلك تفضيل لها على المصلين إليها، وقد يصلي الرجل إلى عنزة وبعير، وإلى رجل، ولا يتوهم أنه مفضل بذلك، فمن أي شيء فر الشيطان ؟ هذا هو العجب العجيب !!.

والثالث: أنه لو جعل آدم قبلة في سجدة واحدة لكانت القبلة وبيت المقدس أفضل منه بآلاف كثيرة، إذ جعلت قبلة دائمة في جميع أنواع الصلوات، فهذه القصة الطويلة التي قد جعلت علماً له، ومن أفضل النعم عليه، وجاءت إلى العالم بأن الله رفعه بها، وامتن عليه، ليس فيها أكثر من أنه جعله كالكعبة في بعض الأوقات، مع أن بعض ما أوتيه من الإيمان والعلم، والقرب من الرحمن أفضل بكثير من الكعبة، والكعبة

إنما وضعت له ولذريته، أفيجعل من جسيم النعم عليه، أو يشبه به في شيء نزر قليل جداً ؟! هذا ما لا يقوله عاقل ...»[1].

وقد ذكر الرازي ضعف هذا القول « لأن المقصود في هذه القصة شرح تعظيم آدم عليه السلام . وجعله مجرد قبلة لا يفيد تعظيم حاله »[2].

ومن شُبه القائلين بأن المراد بالسجود التذلل والخضوع لا حقيقة السجود أنه لا يجوز السجود لغير الله.

فيقال لهم ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية: « إن قيلت هذه الكلمة على الجملة فهي كلمة عامة تنفي بعمومها جواز السجود لآدم، وقد دل دليل خاص على أنهم سجدوا له، والعام لا يعارض ما قابله من الخاص...

أبو يوسف وإخوته خروا له سجداً، ويقال: كانت تحيتهم؛ فكيف يقال: إن السجود حرام مطلقاً ؟ وقد كانت البهائم تسجد للنبي صلى الله عليه وسلم، والبهائم لا تعبد الله، فكيف يقال يلزم من السجود لشيء عبادته، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ولو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها) ومعلوم أنه لم يقل: لو كنت آمراً أحداً أن يعبد..

وأما السجود فشريعة من الشرائع، إذ أمرنا الله تعالى أن نسجد له، ولو أمرنا أن نسجد لأحد من خلقه غيره لسجدنا لذلك الغير، طاعة لله -عز وجل- ؛ إذ أحب أن نعظم من سجدنا له، ولو لم يفرض علينا السجود لم يجب البتة فعله، فسجود الملائكة لآدم عبادة لله وطاعة له، وقربة يتقربون بها إليه، وهو لآدم تشريف وتكريم وتعظيم، وسجود إخوة

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤/ ٣٥٨- ٣٥٩. التفسير الكبير ٢/ ٢٣٠- ٢٣١.

(٢) التفسير الكبير ٢/ ٢٣٠- ٢٣١.

يوسف له تحية وسلام »[1].

ثم يقال بأن السجود في عرف الشرع هو وضع الجبهة على الأرض، فوجب أن يكون المراد به في الآية، لأن الأصل هو ظاهر الآية، ولا صارف يصرفها عن ظاهرها.

قال الرازي: « السجود لا شك أنه في عرف الشرع عبارة عن وضع الجبهة على الأرض، فوجب أن يكون في أصل اللغة كذلك؛ لأن الأصل عدم التغيير، فإن قيل: السجود والعبادة لغير الله لا تجوز. قلنا: لا نسلم أنه عبادة، بيانه أن الفعل قد يصير بالمواضعة مفيداً كالقول، يبين ذلك أن قيام أحدنا للغير يفيد من الإعظام مما يفيده القول، وما ذاك إلا للعادة، وإذا ثبت ذلك لم يمتنع أن يكون في بعض الأوقات سقوط الإنسان على الأرض وإلصاقه الجبين بها مفيداً ضرباً من التعظيم، وإن لم يكن ذلك عبادة، وإذا كان كذلك لم يمتنع أن يتعبد الله الملائكة بذلك إظهاراً لرفعته وكرامته»[2].

فإن قيل : إن الملائكة الذين سجدوا لآدم ملائكة في الأرض فقط، لا ملائكة السموات، ومنهم من قال: ملائكة السموات دون الكروبيين، واستنكر سجود الأعلين من الملائكة لآدم، واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ قالوا : والعالون هم ملائكة السماء، وملائكة السماء لم يؤمروا بالسجود لآدم.

يقال : هذا باطل من وجوه :

الأول: أنه خلاف ما عليه العامة من أهل العلم بالكتاب والسنة، وإذا كان لا بد من التقليد فتقليدهم أولى.

الثاني: أنه خلاف ظاهر القرآن الكريم ؛ فإن الاسم المجموع المعرف

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ٤/ ٣٥٩- ٣٦٠.

(٢) التفسير الكبير ١/ ٢٣١- ٢٣٢.

بالألف واللام يوجب استيعاب الجنس، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا ﴾ فسجود الملائكة يقتضي جميع الملائكة، هذا مقتضى اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، فالعدول عن موجب القول العام إلى الخصوص لا بد له من دليل يصلح له، ولا دليل.

الثالث: قوله تعالى: ﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ حيث جاء توكيد الملائكة بصيغة (كل) الموجبة للاستيعاب والاستغراق، وكذا جاءت كلمة (أجمعون) توكيداً وتحقيقاً بعد توكيد وتحقيق.

الرابع: أن تفسيرهم (العالين) بالكروبيين قول في كتاب الله تعالى بلا علم، ولا يعرف ذلك عن إمام متبع، وليس في اللفظ دليل عليه[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « فاعلم أن هذه المقالة أولاً ليس فيها ما يوجب قبولها، لا مسموع ولا معقول، إلا خواطر وسوانح، ووساوس مادتها عرش إبليس...، أو مقالة قد قالها من يقول الحق والباطل...، وقد بلغني عن بعض السلف أنه قال : ما ابتدع قوم بدعة إلا في القرآن ما يردها، ولكن لا يعلمون، فلعل قوله تعالى: ﴿ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ جيء به لزعم زاعم يقول : إنما سجد له بعض الملائكة لا كلهم، وكانت هذه الكلمة رداً لمقالة هؤلاء، ومن اختلج في سره وجه الخصوص بعد هذا التحقيق والتوكيد فليعز نفسه في الاستدلال بالقرآن والفهم ، فإنه لا يثق بشيء يؤخذ منه، يا ليت شعري، لو كانت الملائكة كلهم سجدوا وأراد الله أن يخبرنا بذلك فأي كلمة أتم وأعم، أم يأتي قول يقال: أليس هذا من أبين البيان ؟.

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤/ ٣٤٥، ٣٦٢- ٣٦٥،والبداية والنهاية ١/ ٦٧-٦٨،وانظر: محاسن التأويل ٢/ ١٠٢-١٠٣.

وهذه الكلمة تكررت في القرآن، وقال النبي ﷺ في حديث الشفاعة: (وأسجد لك ملائكته)[1]. وكذلك في محاجة موسى وآدم[2].

وأما إنكارهم لسجود الكروبيين فليس بشيء ؛ لأنهم سجدوا طاعة وعبادة لربهم »[3].

وقال في موضع آخر: « بل أسجد له جميع الملائكة كما نطق بذلك القرآن...، فمن قال: إنه لم يسجد له جميع الملائكة، بل ملائكة الأرض، فقد رد القرآن بالكذب والبهتان، وهذا القول ليس من أقوال المسلمين واليهود والنصارى، وإنما هو من أقوال الملاحدة المتفلسفة...، وقد يوجد نحو هذه الأقوال في أقوال المفسرين التي لا إسناد لها يعتمد عليه. ومذهب المسلمين واليهود والنصارى ما أخبر الله به في القرآن »[4].

فإن قيل: إن آدم لم يسبق له ما يوجب الإكرام له بالسجود، فكيف أمر بالسجود له إكراماً وتشريفاً وهو لم يُقدم ما يوجب ذلك ؟.

فيقال في الجواب عن هذه الشبهة بأن نعم الله تعالى على عباده ليست بسبب منهم ، ولو كانت بسبب منهم فهو المنعم بذلك السبب ، فهو المنعم ويشكرهم على نعمه، ولهذا قال ابن تيمية عن هذه الشبهة بأنها «لغو من القول هَذَى به بعض من اعتزل الجماعة »[5].

---

(١) انظر الحديث في: صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: (إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه).

(٢) انظر الحديث بنصه في: صحيح مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، ح ٢٦٥٢.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤/ ٣٦٢-٣٦٤.

(٤) المصدر السابق، ٤/ ٣٤٥ - ٣٤٦.

(٥) انظر: المصدر السابق، ٤/ ٣٦١.

المبحـث السادس

امتناع إبليس عن الامتثال لأمر الله تعالى بالسجود لآدم عليه السلام

سبب إبائه (امتناعه) :

ورد في آيات من كتاب الله تعالى أنه سبحانه أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام ، وكان هذا الأمر قبل أن يسوي الله خلقه، وينفخ فيه من روحه بدليل قوله تعالى : ﴿ **إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** ﴾ فلما صار حياً جاء وقت السجود له.

امتثل الملائكة لأمر الله تعالى بالسجود لآدم عليه السلام إلا إبليس فإنه أبى وامتنع عن السجود، وكانت شبهته وحجته في ذلك أنه خير من آدم ؛ لأنه خلق من نار، وآدم خلق من طين، كما ورد ذلك في الآيات التالية :

١ - قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ** ﴾ [الأعراف : ١١، ١٢].

٢ - وقوله : ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَأٍ مَّسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَأٍ مَّسْنُونٍ** ﴾ [الحجر : ٢٨ - ٣٣].

٣ - وقوله : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء: ٦١، ٦٢].

٤ - وقوله: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ [ص: ٧١- ٧٦]

إذن لم يمتثل إبليس لأمر الله - سبحانه وتعالى - فلم يسجد لآدم عليه السلام علواً واستكباراً؛ لكونه خلق من نار، وآدم عليه السلام خلق من طين، فظن اللعين أن مادة خلقه أفضل من مادة خلق آدم عليه السلام فأدى به ذلك إلى العصيان وعدم السجود؛ افتخاراً على آدم واحتقاراً له.

قال أبو جعفر الطبري : « اختلف السلف من الصحابة والتابعين في السبب الذي به هلك عدو الله وسولت له نفسه من أجله الاستكبار على ربه - عز وجل -».

ثم روى عن ابن عباس « أن أول من سكن الأرض الجن فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء، وقتل بعضهم بعضاً، قال : فبعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة...، فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال، فلما فعل إبليس ذلك اغتر في نفسه، وقال: قد صنعت شيئاً لم يصنعه أحد » وبذلك رأى أن له من الفضيلة ما ليس لغيره.

وروى عنه أيضاً : « أن إبليس كان ملك السماء وسائسها وسائس ما بينها وبين الأرض، وخازن الجنة مع اجتهاده في العبادة، فأعجب بنفسه، ورأى أن له بذلك فضلاً، فاستكبر على ربه ».

وروى عن ابن مسعود « أن إبليس كان على مُلْك سماء الدنيا كما كان خازناً للجنة، فوقع في صدره كبر وقال : ما أعطاني الله تعالى هذا إلا لمزية لي على الملائكة، فلما اطلع الله على الكبر في نفسه قال : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ »[1].

وقد ورد في ذلك روايات وأقوال كثيرة غير ثابتة، وإنما ذكرت ما نقلته لكثرة نقل المفسرين والمؤرخين له، فلزم ذكره والتعليق عليه.

قال أبو جعفر الطبري بعد نقله لآثار كثيرة: « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ وجائز أن يكون فسوقه عن أمر ربه كان من أجل أنه كان من الجن، وجائز أن يكون من أجل إعجابه بنفسه لشدة اجتهاده في عبادة ربه، وكثرة علمه، وما كان أوتي من ملك سماء الدنيا والأرض وخزن الجنان، وجائز أن يكون كان ذلك لأمر من الأمور.

ولا يدرك علم ذلك إلا بخبر تقوم به الحجة، ولا خبر بذلك عندنا»[2].

---

(١) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن ١/ ١٧٨، و١٥/ ١٦٩-١٧٠. وتاريخ الأمم والملوك ١/ ٨٤-٨٥. وتفسير القرآن العظيم ١/ ٧٢- ٧٤، و٣/ ٨٧.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ١/ ٨٥.

وقال ابن كثير تعليقاً على تلك الآثار وغيرها :

«فهذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السدي، ويقع فيه إسرائيليات كثيرة، فلعل بعضها مدرج ليس من كلام الصحابة، أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة. والله أعلم »[1].

والظاهر من الآيات أن سبب الاستكبار هو ظن إبليس أفضليته على آدم عليه السلام حين ظن أن النار أفضل من الطين الذي خلق منه آدم عليه السلام.

قال ابن كثير: « وقول إبليس- لعنه الله- (أنا خير منه) من العذر الذي هو أكبر من الذنب، كأنه امتنع عن الطاعة؛ لأنه لا يؤمر الفاضل بالسجود للمفضول ، يعني - لعنه الله - وأنا خير منه فكيف تأمرني بالسجود له ؟ ثم بين أنه خير منه بأنه خلق من نار، والنار أشرف مما خلقته منه وهو الطين، فنظر اللعين إلى أصل العنصر، ولم ينظر إلى التشريف العظيم، وهو أن الله تعالى خلق آدم بيده، ونفخ فيه من روحه »[2].

وقال في مواضع أخرى: « ينبه تعالى بني آدم في هذا المقام على شرف أبيهم آدم، ويبين لهم عداوة عدوهم إبليس، وما هو منطوٍ عليه من الحسد لهم ولأبيهم آدم؛ ليحذروه ولا يتبعوا طرائقه...

يذكر تعالى تنويهه بذكر آدم في ملائكته قبل خلقه له وتشريفه إياه بأمر الملائكة بالسجود له، ويذكر تخلف إبليس عدوه عن السجود له من بين سائر الملائكة ، حسداً وكفراً وعناداً واستكباراً ، وافتخاراً بالباطل،

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/ ٧٤. وانظر: ٢/ ٥٣١، ٣/ ٨٧. وقد سبق ذكر تعليقه على تلك الآثار في آخر مبحث (أصل إبليس). فليراجع ص ٤٨، ٤٩.

(٢) المصدر السابق ٢/ ١٩٤.

ولهذا قال : ﴿ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَأٍ مَّسْنُونٍ ﴾، وقوله : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾، وقوله : ﴿ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ ﴾.

فاستنكف عن السجود لآدم، وخاصم ربه - عز وجل - فيه، وادعى أنه خير من آدم، فإنه مخلوق من نار، وآدم خلق من طين، والنار خير من الطين في زعمه، وقد أخطأ في ذلك، وخالف أمر الله تعالى، وكفر بذلك، فأبعده الله - عز وجل -...

فعند الحاجة نضح كل وعاء بما فيه، وخانه الطبع عند الحاجة، وذلك أنه كان قد توسم بأفعال الملائكة وتشبه بهم، وتعبد وتنسك؛ فلهذا دخل في خطابهم وعصى بالمخالفة، ونبه تعالى ههنا على أنه من الجن، أي على أنه خلق من نار كما قال تعالى: ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾...

استكبر لما كان حدث نفسه من كبره واغتراره فقال : لا أسجد له وأنا خير منه، وأكبر سناً، وأقوى خلقاً، خلقتني من نار وخلقته من طين، يقول: إن النار أقوى من الطين »[1].

وقال عب الرحمن السعدي: «امتنع عن السجود واستكبر عن أمر الله وعلى آدم... وهذا الإباء منه والاستكبار نتيجة الكفر الذي هو منطو عليه، فتبينت حينئذ عداوته لله، ولآدم، وكفره واستكباره، أبى أن يسجد له تكبراً عليه، وإعجاباً بنفسه، فوبخه الله على ذلك، وقال : (ما منعك ألا تسجد لما خلقت بيديّ) : أي شرفته وفضلته بهذه الفضيلة التي

---

(١) المصدر السابق ٢/ ١٩٣، ٢/ ٥٣١، ٣/ ٨٧، ٤/ ٤٤-٥٤، ٥/ ٩٨.

لم تكن لغيره، فعصيت أمري وتهاونت بي ؟ (قال) إبليس صارخاً لربه: (أنا خير منه)، ثم برهن على هذه الدعوى الباطلة بقوله له: (خلقتني من نار وخلقته من طين) وموجب هذا أن المخلوق من نار أفضل من المخلوق من طين؛ لعلو النار على الطين وصعودها، وهذا القياس من أفسد الأقيسة؛ فإنه باطل ... وهذا أول عداوته لآدم وذريته ... فاستكبر على أمر الله، وأبدى العداوة لآدم وذريته، وأُعجب بعنصره وقال : أنا خير من آدم ... بزعمه أن عنصر النار خير من عنصر الطين »[1].

إذن إباء إبليس عن السجود لآدم كان بسبب كفره واستكباره؛ لزعمه أنه خير من آدم، إذ قاس نفسه على أصله وهو النار، وقاس آدم على أصله وهو الطين، ثم زعم أن النار خير من الطين، وبالتالي يكون هو خيراً من آدم على حدّ زعمه، وهو قياس فاسد؛ لأنه معارض لكلام رب العالمين، وفيما يأتي بيان فساد قياس إبليس وبطلان شبهته.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ١٣، ٢٤٦- ٢٤٧، ٣٨٤- ٣٨٥ وانظر: ٤١٣، ٤٦٤.

المبحث السابع

فساد قياس إبليس

قياس إبليس فاسد الاعتبار لمخالفة النص الصريح :

حجة إبليس في امتناعه عن السجود بقوله : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ حجة باطلة؛ لأنه عارض النص بالقياس؛ ولهذا قال الحسن البصري في تفسير هذه الآية: «قاس إبليس، وهو أول من قاس»، وقال ابن سيرين: « أول من قاس إبليس، وما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس »[1].

فهو قاس قياساً فاسداً في مقابلة نص قوله تعالى : ﴿ فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ فشذّ من بين الملائكة لترك السجود، فأخطأ - قبحه الله - في قياسه، ودعواه أن النار أشرف من الطين.

قال عبد الرحمن السعدي : « وهذا القياس من أفسد الأقيسة ؛ فإنه باطل من عدة أوجه :

منها: أنه في مقابلة أمر الله له بالسجود، والقياس إذا عارض النص فإنه قياس باطل؛ لأن المقصود بالقياس أن يكون الحكم الذي لم يأت فيه نص يقارب الأمور المنصوص عليها، ويكون تابعاً لها، فأما قياس يعارضها، ويلزم من اعتباره إلغاء النصوص، فهذا قياس من أشنع الأقيسة.

---

(١) انظر هذين القولين في: جامع البيان في تفسير القرآن ٨/ ٩٨.
وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ١٥/ ٥، ودقائق التفسير ٣/ ١٤٧. وذكر ابن كثير صحة إسناديهما. انظر تفسير القرآن العظيم ٢/ ١٩٤.

ومنها: أن قوله: (أنا خير منه) بمجردها كافية لنقص إبليس الخبيث، فإنه برهن على نقصه بإعجابه بنفسه، وتكبره، والقول على الله بلا علم، وأي نقص أعظم من هذا ؟!.

ومنها: أنه كذب في تفضيل مادة النار على مادة الطين والتراب... وهذا من القياس الفاسد ؛ فإن عنصر النار مادة الشر والفساد، وعنصر الطين مادة الرزانة والتواضع...، فهذا قياس شيخ القوم الذي عارض به الأمر الشفاهي من الله، قد تبين غاية بطلانه وفساده، فما بالك بأقيسة التلاميذ الذين عارضوا الحق بأقيستهم ؟ فإنها كلها أعظم بطلاناً من هذا القياس »[1].

وقال الشنقيطي: « مثل قياس إبليس نفسه على عنصره الذي هو النار، وقياسه آدم على عنصره الذي هو الطين، واستنتاجه من ذلك أنه خير من آدم، ولا ينبغي أن يؤمر بالسجود لمن هو خير منه، مع وجود النص الصريح الذي هو قوله تعالى: ﴿ اسْجُدُوا لآدَمَ ﴾ يسمى في اصطلاح الأصوليين فاسد الاعتبار ... فكل من رد نصوص الوحي بالأقيسة فسلفه في ذلك إبليس ... »[2].

إذن فامتناع إبليس إنما كان عن كبر وكفر وإباء وحسد، وعلى سبيل التعنت قاس قياساً فاسداً زاعماً أنه خير من آدم ظاناً أن النار خير من الطين، فعارض النص، وأبى أن يكون مع الساجدين.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٢٤٧، ٦٦٣.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١/ ١٣٥.

يقول ابن القيم: « مناظرة إبليس عدو الله في شأن آدم، وإباؤه من السجود له، وبيان فسادها، قد كرر الله تعالى ذكرها في كتابه، وأخبر فيها أن امتناع إبليس من السجود كان كبراً منه وكفراً ومجرد إباء، وإنما ذكر تلك الشبهة تعنتاً، وإلا فسبب معصيته الاستكبار والإباء والكفر، وإلا فليس في أمره بالسجود لآدم ما يناقض الحكمة بوجه.

وأما شبهته الداحضة، وهي أن أصله وعنصره النار، وأصل آدم وعنصره التراب، ورتب على ذلك أنه خير من آدم، ثم رتب على هاتين المقدمتين أنه لا يحسن منه الخضوع لمن هو فوقه وخير منه، فهي باطلة من وجوه عديدة »(١).

---

(١) بدائع الفوائد ٤/ ١٣٩.

المبحث الثامن

فساد شبهة إبليس وبطلانها

ذكر العلماء وجوهاً كثيرة في بيان فساد شبهة إبليس، وبطلان حجته حين امتنع عن السجود وقال: ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ فإن دعواه كونه خيراً من آدم دعوى كاذبة باطلة، واستدلاله عليها بكونه مخلوقاً من نار، وآدم من طين استدلال باطل، وليست النار خيراً من الطين والتراب، بل التراب خير من النار وأفضل عنصراً.

وإليك ذكر فساد شبهته من وجوه:

الأول: أن الطين من شأنه الرزانة والحلم والثبات والأناة؛ ولهذا نفع آدم عنصره بالرجوع والإنابة والانقياد والاستسلام لأمر الله تعالى وطلب التوبة والمغفرة.

أما النار فمن شأنها الإحراق والطيش والحدّة والاضطراب، ولهذا خان إبليس عنصره فأبى واستكبر وشقي.

قال المناوي: « والطين من طبعه السكون، والنار من طبعها الحركة، فلا يُتصور نار مشتعلة تسكن، بل لا تزال تتحرك بطبعها، وقد كلف المخلوق من النار أن يطمئن من حركته ساجداً لما خلق من الطين فأبى واستكبر أن يسجد لآدم ... »[1].

الثاني: أن النار طبعها الفساد وإتلاف ما تعلقت به، بخلاف التراب.

---

(١) فيض القدير ٣/ ٤٥.

الثالث: أن التراب يتكون فيه ومنه أرزاق الحيوان وأقواتهم، ولباس العباد وزينتهم، وآلات معايشهم، ومساكنهم، والنار لا يتكون فيها شيء من ذلك.

الرابع: أن التراب ضروري للإنسان والحيوان، فالحيوان لا يستغني عنه البتة، ولا عمّا يتكون فيه ومنه، والنار يستغني عنها الحيوان، وقد يستغني عنها الإنسان الأيام والشهور، فلا تدعوه إليها الضرورة.

فأين انتفاع الإنسان والحيوان كله بالتراب إلى انتفاع الإنسان بالنار في بعض الأحيان؟.

الخامس: أن التراب إذا وضع فيه القوت أخرجه أضعاف أضعاف ما وضع فيه، فمن بركته يؤدي إليك ما تستودعه فيه مضاعفاً، ولو استودعته النار لخانتك وأكلته، ولم تبق ولم تذر.

السادس: أن الطين قائم بنفسه، فلا يحتاج إلى حامل، أما النار فإنها لا تقوم بنفسها؛ بل هي مفتقرة إلى محل تقوم به يكون حاملاً لها، فالطين أكمل منها لغناه وافتقارها.

السابع: أن النار مفتقرة إلى التراب، وليس التراب مفتقراً إليها؛ فإن المحل الذي تقوم به النار لا يكون إلا مكوناً من التراب أو فيه، فهي الفقيرة إلى التراب، وهو الغني عنها.

الثامن: أن التراب كامن فيه الخير والبركة، فكلما أثير وقلّب ظهرت بركته وخيره وثمرته.

أما النـار فإنها وإن حصل بها بعض المنفعة والمتاع فالشر كامن فيها، لا يصدها عنه إلا قسرها وحبسها، ولولا القاسر والحابس لها لأفسدت الحرث والنسل.

التاسع: أن الله تعالى أكثر ذكر الأرض في كتابه، وأخبر عن منافعها، وخلقها، وأنه جعلها مهاداً وفراشاً وبساطاً وقراراً، وكفاتاً للأحياء والأموات، ودعا عباده إلى التفكر فيها والنظر في آياتها، وعجائب ما أودع فيها.

ولم يذكر الله تعالى النار إلا في معرض العقوبة والتخويف والعذاب، إلا موضعاً أو موضعين ذكرها فيه بأنها تذكرة ومتاع للمقوين، تذكرة بنار الآخرة، ومتاع لبعض أفراد الإنسان، وهم المقوون النازلون بالقوا، وهي الأرض الخالية إذا نزلها المسافر تمتع بالنار في منزله، فأين هذا من أوصاف الأرض في القرآن !.

العاشر: أن الله تعالى وصف مواضع من الأرض بالبركة في غير موضع من القرآن الكريم، فقال تعالى: ﴿ **وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنبياء: ٧١]. وقال تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً** ﴾ [سبأ: ١٨]. وقال : ﴿ **وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا** ﴾ [الأنبياء : ١٨]، وأخبر - سبحانه وتعالى - أنه بارك في الأرض عموماً فقال : ﴿ **قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ** ﴾ [فصلت : ٩ ـ ١٠].

وأما النار، فلم يخبر أنه جعل فيها بركة أصلاً، بل المشهور أنها مذهبة للبركة، ماحقة لها، فأين المبارك في نفسه، المبارك فيما وضع فيه إلى مزيل البركة وماحقها !.

الحادي عشر: أن الله تعالى أودع في الأرض من المنافع والمعادن والأنهار والعيون والثمرات والحبوب والأقوات وأصناف الحيوانات وأمتعتها والجبال والجنان والرياض، والمراكب البهية، والصور البهيجة، ما لم يودع في النار شيئاً منه.

فأي روضة وجدت في النار، أو جنة، أو معدن، أو صورة، أو عين فوارة، أو نهر، أو ثمرة لذيذة، أو لباس أو ستر !.

الثاني عشر: أن المادة الإبليسية هي المارج من النار، وهو ضعيف يتلاعب به الهوى، فيميل معه كيفما مال، ولهذا غلب الهوى على المخلوق منه فأسره وقهره.

ولما كانت المادة الآدمية التراب، وهو قوي لا يذهب مع الهوى أينما ذهب قهر هواه وأسره، ورجع إلى ربه فاجتباه واصطفاه، فكان الهوى الذي مع المادة الآدمية عارضاً سريع الزوال فزال، وكان الثبات والرزانة أصلياً له فعاد إليه، وكان إبليس بالعكس من ذلك.

فرجع كل من الأبوين إلى أصله وعنصره؛ آدم إلى أصله الطيب الشريف، واللعين إلى أصله الرديء.

الثالث عشر: أن الله - سبحانه وتعالى - جعل الأرض محل بيوته التي يذكر فيها اسمه، ويسبح له فيها بالغدو والآصال عموماً، وبيته الحرام الذي جعله قياماً للناس مباركاً فيه وهدى للعالمين خصوصاً، ولو لم يكن في الأرض إلا بيته الحرام لكفاها ذلك شرفاً وفضلاً على النار.

الرابع عشر: أن غاية النار أنها وضعت خادمة لما في الأرض، فالنار إنما محلها الخادم لهذه الأشياء، المكمل لها، فهي تابعة لها خادمة فقط، إذا استغنت عنها طردتها وأبعدتها عن قربها، وإذا احتاجت إليها استدعتها استدعاء المخدوم لخادمه ومن يقضي حوائجه.

الخامس عشر: أن إبليس لقصور نظره، وضعف بصيرته، رأى صورة الطين تراباً ممتزجاً بماء فاحتقره، ولم يعلم أن الطين مركب من أصلين: الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي، والتراب الذي جعله خزانة المنافع والنعم، هذا وكم يجيء من الطين من المنافع وأنواع الأمتعة، فلو تجاوز نظره صورة الطين إلى مادته ونهايته لرأى أنه خير من النار وأفضل.

السادس عشر: أن الطين يغلب النار ويطفئها، وليست النار كذلك.

السابع عشر: أن الله جعل الأرض التي هي محل الطين والتراب مسجداً وطهوراً، قال ﷺ: (جعلت لنا الأرض مسجداً وطهوراً)[1]. وليست النار كذلك.

الثامن عشر: أنا لو سلمنا تسليماً جدلياً أن النار خير من الطين؛ فإنه لا يلزم من ذلك أن إبليس خير من آدم؛ لأن شرف الأصل لا يقتضي شرف الفرع، بل قد يكون الأصل رفيعاً والفرع وضيعاً قال الشاعر:

إذا افتخرت بآباء لهم شرف قلنا: صدقت، ولكن بئس ما ولدوا

---

(١) رواه البخاري، كتاب التيمم، الباب رقم (١). ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ح ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣.

التاسع عشر: أن آدم عليه السلام وإن كان مخلوقاً من طين فقد حصل له بنفخ الروح المقدسة فيه ما شرُف به؛ فلهذا قال تعالى: ﴿ **فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** ﴾ فعلّق السجود بأن ينفخ فيه من روحه، فالموجب للتفضيل هذا المعنى الشريف الذي ليس لإبليس مثله.

العشرون: أن آدم عليه السلام مخلوق بيدي الله تعالى كما قال سبحانه : ﴿ **مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾ .

الحادي والعشرون: أنه لو سُلِّم بطريق الفرض الباطل أنه أفضل فقد يقال : إكرام الأفضل للمفضول ليس بمستنكر[1].

---

(١) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن ٨/ ٩٧-٩٨، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٥/١٥، ٦، وتفسير القرآن العظيم ٢/ ١٩٤، وبدائع الفوائد ٢/ ١٣٩- ١٤١، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٢٤٧، ٦٦٣، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١/ ١٣٥.

المبحـث التاسع

الجنة التي أسكنها الله آدم عليه السلام

بعد أن أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم، فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر، أباح سبحانه وتعالى لآدم وزوجه الجنة ليسكنا فيها، ويأكلا منها ما شاءا رغداً، هنيئاً طيباً، ومنعهما من الأكل من شجرة من شجر الجنة امتحاناً لهما، فأزلهما إبليس فأكلا منها، فأمرهما الله تعالى بالخروج منها، والهبوط إلى الأرض.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ . وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ . فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ . فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٣٤ – ٣٨] [البقرة : ٣٤ - ٣٨].

وقد اختلف في الجنة التي أسكنها الله تعالى آدم، أهي جنة الخلد أم لا ؟ وهل هي جنة في السماء أو من جنان الأرض ؟.

والحق أن الجنة التي أسكنها الله تعالى آدم وزوجه هي جنة الخلد لقوله تعالى : ﴿ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ إلى قوله : ﴿ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الأعراف: ٢٤]،

فقد أخبر سبحانه أنه أمرهم بالهبوط، وأن بعضهم عدو لبعض، وأن لهم في الأرض مستقراً ومتاعاً إلى حين « وهذا يبين أنهم لم يكونوا في الأرض، وإنما أهبطوا إلى الأرض؛ فإنهم لو كانوا في الأرض وانتقلوا إلى أرض أخرى كانتقال موسى من أرض إلى أرض لكان مستقرهم ومتاعهم إلى حين في الأرض قبل الهبوط وبعده »[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « والجنة التي أسكنها آدم وزوجه عند سلف الأمة وأهل السنة والجماعة هي جنة الخلد، ومن قال: إنها جنة في الأرض بأرض الهند أو بأرض جدة، أو غير ذلك، فهو من المتفلسفة والملحدين، أو من إخوانهم المتكلمين المبتدعين؛ فإن هذا يقوله من يقوله من المتفلسفة والمعتزلة، والكتاب والسنة يرد هذا القول، وسلف الأمة وأئمتها متفقون على بطلان هذا القول ... والنصوص في ذلك كثيرة، وكذلك كلام السلف والأئمة»[2].

وقال ابن كثير: « والجمهور على أنها هي التي في السماء، وهي جنة المأوى؛ لظاهر الآيات والأحاديث، كقوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ والألف واللام ليست للعموم، ولا لمعهود لفظي، وإنما تعود على معهود ذهني، وهو المستقر شرعاً من جنة المأوى ...»[3].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٤/ ٣٤٨.

(٢) المصدر السابق، ٤/ ٣٤٧ ، ٣٤٩.

(٣) البداية والنهاية ١/ ٦٩.

ومما يستدل به أيضاً قوله تعالى لإبليس: ﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا ﴾ وذلك بعد إخباره تعالى عن إبليس أنه قال : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ. قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا ﴾ وهذا كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: « يبين اختصاص السماء بالجنة بهذا الحكم؛ فإن الضمير في قوله : (منها) عائد إلى معلوم غير مذكور في اللفظ، وهذا بخلاف قوله : ﴿ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ ﴾ فإنه لم يذكر هناك ما أهبطوا فيه، وقال هنا: ﴿ اهبطوا ﴾ لأن الهبوط يكون من علو إلى سفل، وعند أرض السراة حيث كان بنو إسرائيل حيال السراة المشرفة على المصر الذي يهبطون إليه، ومن هبط من جبل إلى واد قيل له هبط » [1].

ويدل عليه أيضاً قوله تعالى:

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ [الأعراف:٢٣ - ٢٥]

فقوله: ﴿ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾ بعد قوله: ﴿اهبطوا﴾ يبين أنهم هبطوا إلى الأرض من غيرها.

وكذلك قوله بعد ذلك : ﴿ فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ﴾ دليل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك بمكان فيه يحيون وفيه يموتون

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية ٤/ ٣٢٨.

ومنه يخرجون، وإنما صاروا إليه لما أهبطوا من الجنة [١].

ويدل على القول الحق في هذه المسألة قوله: احتج آدم وموسى- عليهما السلام - عند ربهما، فحج آدم موسى، قال موسى : (أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض ...) [٢]. الحديث، وموسى - عليه الصلاة والسلام - إنما لام آدمَ - عليه الصلاة والسلام - لما حصل له وذريته بالخروج من الجنة من المشقة والنكد، فلو كان ذلك المكان الذي عوقب بالخروج منه بستاناً في الأرض لكان غيره من بساتين الأرض يعوض عنه [٣].

وكذلك قوله ﷺ: (يجمع الله تبارك وتعالى الناس، فيقوم المؤمنون حتى تُزْلَفَ لهم الجنة، فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا، استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم !...) [٤]. الحديث.

فهذا النص الصحيح صريح بأن الجنة التي أسكنها الله تعالى آدم وزوجه، ثم أخرجهما منها هي جنة الخلد التي وعد المتقون.

ويقول ابن حزم [٥] بعد أن ردَّ على من قال بأنها غيرها: « فصح أن

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٤/ ٣٤٨.

(٢) سبق تخريجه، ص٦٦.

(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٤/ ٣٤٩، والبداية والنهاية ١/ ٦٩.

(٤) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ح ٣٢٩.

(٥) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الفارسي الأصل، ثم الأندلسي القرطبي. توفي سنة ٤٥٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٨٤-٢١٢.

الجنة التي أسكن فيها آدم كانت لا شمس فيها، فهي جنة الخلد بلا شك، وأيضاً فإن قوله- عز وجل -: ﴿ **اسكن أنت وزوجك الجنة** ﴾ إشارة بالألف واللام، ولا يكون ذلك إلا على معهود، ولا تنطلق الجنة هكذا إلا على جنة الخلد، ولا ينطلق هذا الاسم على غيرها إلا بالإضافة.

وأيضاً فلو أسكن آدم عليه السلام جنة في الأرض لما كان في إخراجه منها إلى غيرها عقوبة، بل قد بين تعالى أنها ليست في الأرض بقوله تعالى : ﴿ **قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ** ﴾ ، فصح يقيناً أنه قد أهبط من الجنة إلى الأرض، فصح أنها لم تكن في الأرض البتة »[1].

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/ ٨٣.

المبحث العاشر

هل دخل إبليس الجنة بعد طرده

قال بعض أهل العلم: إذا كانت الجنة التي أسكنها الله تعالى آدم وزوجه هي جنة الخلد، فكيف تمكن إبليس من دخولها ؟ إذ أزلهما عنها وأخرجهما مما كانا فيه ؟.

وأجيب عن ذلك بأجوبة، منها:

١ - أنه مُنع من دخول الجنة مكرماً، أما على وجه السرقة والإهانة فلا يمتنع.

٢ - كان دخوله مروراً لا استقراراً.

٣ - يحتمل أنه وسوس لهما وهو واقف على باب الجنة أو خارجها.

٤ - يحتمل أنه وسوس لهما وهو في الأرض وهما في السماء [(١)].

ولعله يشهد للجواب الأول قوله ﷺ: (لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطيف به لينظر ما هو، فلما رآه أجوف عرف أنه خُلق خلقاً لا يتمالك) [(٢)].

قال النووي في شرحه لهذا الحديث: « قوله ﷺ: (يطيف به) قال أهل اللغة: طاف بالشيء يطوف طوفاً، وأطاف يطيف، إذا استدار حوله،

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ٧٨، والبداية والنهاية ١/ ٧٠.

(٢) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب خلق الإنسان خلقاً لا يتمالك، ح ٢٦١١.

قوله ﷺ: (فلما رآه أجوف علم أنه خلق خلقاً لا يتمالك)، الأجوف : صاحب الجوف، وقيل: هو الذي داخله خالٍ، ومعنى لا يتمالك: لا يملك نفسه ولا يحبسها عن الشهوات، وقيل : لا يملك دفع الوسواس عنه، وقيل: لا يملك نفسه عند الغضب، والمراد: جنس بني آدم »[1].

وهذا النص وإن كان صحيحاً وصريحاً في دخول إبليس الجنة إلا أنه قد يعترض على الاستدلال به بأن المراد منه دخول إبليس الجنة قبل امتناعه عن السجود لآدم، ومن ثَمّ طرده منها.

وذكر بعض أهل العلم أن إبليس دخل الجنة مهاناً لا مكرماً بواسطة الحية، كما روي ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: « إن عدو الله إبليس عرض نفسه على دواب الأرض أنها تحمله حتى يدخل الجنة معها، ويكلم آدم وزوجته، فكل الدواب أبى ذلك عليه، حتى كلم الحية فقال لها: أمنعك من ابن آدم، فأنت في ذمتي إن أنت أدخلتني الجنة، فجعلته بين نابين من أنيابها، ثم دخلت به، فكلمهما من فيها، وكانت كاسية تمشي على أربع قوائم، فأعراها الله، وجعلها تمشي على بطنها » [2].

ولكن قصة إبليس والحية من الأخبار الإسرائيلية التي لم يثبت في شرعنا منها شيء.

وبعد أن ذكر هذه القصة إمام المفسرين أبو جعفر الطبري، وذكر أقوالاً غيرها، قال: «وقد رويت هذه الأخبار عمن رويناها عنه من الصحابة والتابعين وغيرهم، في صفة استزلال إبليس عدو الله آدم وزوجته حتى أخرجهما من الجنة، وأولى ذلك بالحق عندنا ما كان لكتاب الله موافقاً،

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/ ١٦٤.

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن ١/ ١٨٨- ١٨٩، وتفسير القرآن العظيم ١/ ٧٧.

وقد أخبر الله تعالى ذِكْره عن إبليس أنه وسوس لآدم وزوجته ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما، وأنه قال لهما: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين، وأنه قاسمهما: إني لكما لمن الناصحين، مدلياً لهما بغرور، ففي إخباره - جل ثناؤه - عن عدو الله أنه قاسم آدم وزوجته بقيله لهما: (إني لكما لمن الناصحين) الدليل الواضح على أنه قد باشر خطابهما بنفسه إما ظاهراً، وإما مستجناً في غيره؛ وذلك أنه غير معقول في كلام العرب أن يقال: قاسم فلان فلاناً في كذا وكذا إذا سبب له سبباً وصل به إليه دون أن يحلف له، والحلف لا يكون بتسبب السبب، فكذلك قوله: فوسوس إليه الشيطان، لو كان ذلك منه إلى آدم على نحو الذي منه إلى ذريته في تزيين أكل ما نهى الله آدم عن أكله من الشجرة بغير مباشرة خطابه إياه بما استزله به من القول والحيل لما قال - جل ثناؤه -: وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين، كما غير جائز أن يقول اليوم قائل ممن أتى معصية: قاسمني إبليس إنه لي ناصح فيما زين لي من المعصية التي أتيتها؛ فكذلك الذي كان من آدم وزوجته لو كان على النحو الذي يكون فيما بين إبليس اليوم وذرية آدم لما قال- جل ثناؤه-: وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين، ولكن ذلك كان إن شاء الله على نحو ما قال ابن عباس ومن قال بقوله.

فأما سبب وصوله إلى الجنة حتى كلم آدم بعد أن أخرجه الله منها، وطرده عنها، فليس فيما روي عن ابن عباس ووهب بن منبه في ذلك معنى يجوز لذي فهم مدافعته؛ إذ كان ذلك قولاً لا يدفعه عقل ولا خبر يلزم تصديقه من حجة بخلافه، وهو من الأمور الممكنة، والقول في ذلك أنه قد وصل إلى خطابهما على ما أخبرنا الله - جل ثناؤه -، وممكن أن يكون وصل إلى ذلك بنحو الذي قاله المتأولون، بل ذلك إن شاء الله كذلك لتتابع

أقوال أهل التأويل على تصحيح ذلك »[1].

نخلص مما تقدم أن إبليس خاطب آدم وزوجته مباشرة حتى أزلهما، كما هو ظاهر النصوص الشرعية، وذلك الدخول ليس إكراماً؛ بل على وجه الإهانة، وبيان فساد إبليس وحرصه على إغواء آدم عليه السلام وذريته.

والمسائل الغيبية يوقف بها عند النص - كما هو معلوم - أما الأخبار الإسرائيلية فما وافق شرعنا ففي شرعنا الكفاية عنه، وما خالفه رُدَّ ولم يقبل، وما لم يرد في شرعنا ما يوافقه أو يخالفه توقفنا فيه، فلا نصدقه ولا نكذبه، وحسبنا ما جاء في شرعنا.

(١) جامع البيان في تفسير القرآن ١٥/ ١٨٩.

المبحث الحادي عشر

عرش إبليس

ثبت في الصحيح أن عرش إبليس ومركزه على البحر، وأنه يرسل جنوده وسراياه لإضلال بني آدم، فعن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، حتى يجيء أحدهم فيقول : فعلتُ كذا وكذا، فيقول : ما صنعتَ شيئاً. قال : ثم يجيء أحدهم فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه ويقول : نِعْمَ أنت ». قال الأعمش (أحد رواة الحديث) : أراه قال : فيلتزمه.

وفي رواية : (إن عرش إبليس على البحر، فيبعث سراياه فيفتنون الناس، فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة)[(١)].

قال النووي : « العرش هو: سرير الملك، ومعناه أن مركزه البحر، ومنه يبعث سراياه في نواحي الأرض، قوله: (فيدنيه منه ويقول: نِعْمَ أنت) : هو بكسر النون وإسكان العين، وهي نِعْمَ الموضوعة للمدح، فيمدحه لإعجابه بصنعه وبلوغه الغاية التي أرادها، قوله: (فيلتزمه): أي يضمه إلى

---

(١) رواه مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب تحريش الشيطان وبعث سراياه لفتنة الناس، ح ٢٨١٣؛ الأحاديث أرقام (٦٦-٦٧-٦٨) داخل كتاب صفات المنافقين.

نفسه ويعانقه »[1].

فإبليس يخطط للمعركة مع بني الإنسان ويقودها، ومن قاعدته أن يرسل الجنود والسرايا في الاتجاهات المختلفة، ويعقد مجالس يناقش جنوده وجيوشه فيما صنعته من الضلال والفتنة، فيثني على الذين أحسنوا وأجادوا في الإضلال وفتنة الناس.

وإبليس له خبرة طويلة في مجال الإضلال، ولذلك فإنه يجيد وضع خططه ونصب (مصائده) وأحابيله، فهو لم يزل حياً يضل الناس منذ وجد الإنسان إلى اليوم، وإلى أن تقوم الساعة ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ [الحجر: ٣٦ - ٣٨] وفي الحديث : (إن الشيطان قال : وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الرب: وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني)[2].

فهو دؤوب على الشر ونشر الفتنة، مصر على الإغواء الذي نذر نفسه له، لا يكل ولا يمل[3].

قال المناوي في شرحه الحديث السابق: «... (يضع عرشه) أي سرير

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٧/ ١٥٧.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٢٩، ٤١، والحاكم في المستدرك ٤/ ٢٦١، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠ /٢٠٧. وقال عنه الألباني: (حسن). انظر: صحيح الجامع الصغير ١/٣٣٩ ح ٦٦٥٠، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ١/٣ ح ١٠٤.

(٣) انظر: عالم الجن والشياطين، ص ٦٣-٦٤.

ملكه، يحتمل أن يكون سريراً حقيقة يضعه (على الماء) ويجلس عليه، وكونه تمثيلاً لتفرعنه وشدة عتوّه ونفوذ أمره بين سراياه وجيوشه، وأيّاً مّا كان فيظهر أن استعمال هذه العبارة الهائلة، وهي قوله: (عرشه) تهكماً وسخرية؛ فإنها استعملت في الجبار الذي لا يغالب، (وكان عرشه على الماء) والقصد أن إبليس مسكنه البحر، (ثم يبعث سراياه) جمع سرية وهي القطعة من الجيش، (فأدناهم منه) أي أقربهم (منزلة) وهو مبتدأ (أعظمهم فتنة) خبره. (يجيء أحدهم) بيان لمن هو أدنى منه ولمن هو أبعد، (فيقول فعلت كذا وكذا) أي وسوست بنحو قتل أو سرقة أو شرب، (فيقول) له (ما صنعت شيئاً) استخفافاً بفعله، نكرة في سياق النفي، (ويجيء أحدهم فيقول) له (ما تركته) يعني الرجل (حتى فرقت بينه وبين أهله) أي زوجته، (فيدنيه منه) أي يقربه منه» إلى أن قال « ثم إن هذا تهويل عظيم في ذم التفريق، حيث كان أعظم مقاصد اللعين لما فيه من انقطاع النسل وانصرام بني آدم فوقع وقوع الزنا الذي هو أعظم الكبائر فساداً وأكثرها معرّة، كيف وقد استعظمه في التنزيل بقوله : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾ [البقرة: ١٠٢] [١].

ويُعد السحر المتلقَّى عن الشياطين من الإنس والجن من أعظم ما يتوصل به إلى التفرقة بين المرء وأهله، وبين كل متآلفين ومتوادين، ولهذا يشكر إبليس سعي من كان السَّبب في ذلك، فالذي ذمه الله يمدحه إبليس، والذي يغضب الله يرضيه [٢].

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٢/ ٤٠٨.

(٢) انظر البداية والنهاية ١/ ٥٤، وتفسير القرآن العظيم ١/ ١٣٧.

وعن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ لابن صائد [1]: (ما ترى ؟) قال: أرى عرشاً على الماء. فقال رسول الله ﷺ: (ترى عرش إبليس على البحر...) [2].

قال ابن كثير: « فإبليس - لعنه الله - حي الآن، مُنْظَر إلى يوم القيامة بنص القرآن، وله عرش على وجه البحر، وهو جالس عليه، ويبعث سراياه يلقون بين الناس الشر والفتن، وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٧٦]، ولهذا لما قال النبي ﷺ لابن صائد : ما ترى ؟ قال: أرى عرشاً على الماء. فقال له النبي ﷺ: (اخسأ فلن تعدو قدرك) فعرف أن مادة مكاشفته التي كاشفه بها شيطانية مستمدة من إبليس الذي هو يشاهد عرشه على البحر؛ ولهذا قال له : (اخسأ فلن تعدو قدرك)، أي لن تجاوز قيمتك الدنية الخسيسة الحقيرة » [3].

---

(١) هو صافي، وقيل: عبد الله بن صيّاد أو صائد، كان من يهود المدينة، ذكر ابن كثير وغيره أنه أسلم، وكان صغيراً عند قدوم النبي ﷺ المدينة، ثم أصبح يأتي بغرائب وعجائب حتى ظن بعض الصحابة أنه الدجال، حتى ذهب الرسول ليختبره كما في حديث أبي سعيد الخدري، وبعض العلماء يجزم بأنه دجال من الدجاجلة، كما توقف في أمره بعضهم. قال ابن حجر: « وفي الجملة لا معنى لذكر ابن صياد في الصحابة ؛ لأنه إن كان الدجال فليس بصحابي قطعاً؛ لأنه يموت كافراً، وإن كان غيره فهو حال لقيه النبي ﷺ لم يكن مسلماً ». الإصابة في تمييز الصحابة ٣/ ٣١٣. وانظر : النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير ١/ ١٢٨، وتجريد أسماء الصحابة للذهبي ١/ ٣١٩.

(٢) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد، ح ٢٩٢٥.

(٣) البداية والنهاية ١/ ٥٣.

المبحث الثاني عشر

إنظار إبليس ثم موته وحكم ذلك

لما امتنع عدو الله إبليس عن الامتثال لأمر الله تعالى بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام، وأبى واستكبر أهبطه الله وجعله من الصاغرين المهانين الأذلين، وسأل الله النظرة والإمهال؛ ليتمكن من إغواء من يقدر عليه من بني آدم.

قال تعالى: ﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ . قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣، ١٤].

فإبليس سأل الله تعالى الإنظار والإمهال ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[١]. أي يوم القيامة، فهو طلب من الله أن يؤخره فلا يموت إلى يوم أن يبعث الله الخلق من قبورهم ويحشرهم لموقف يوم القيامة[٢].

وقال بعض العلماء: إن إبليس أراد بسؤاله الإنظار إلى يوم يبعثون ألاّ يموت، لأن يوم البعث لا موت فيه، ولا بعده[٣].

ولما كانت حكمة الله مقتضية لابتلاء العباد واختبارهم ليتبين الصادق من الكاذب، ومن يطيعه، ومن يطيع عدوه، أجابه لما سأله، قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾، ولم يبين في سورة (الأعراف) الغاية التي أنظره إليها، وقد ذكرها في سورتي (الحجر) و (ص): ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ . إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾[٤].

---

(١) في سورة الأعراف، الآية ١٤، وسورة الحجر، الآية ٣٦، وسورة ص، الآية ٧٩.

(٢) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن ١٤/ ٢٢.

(٣) انظر: معالم التنزيل ٤/ ٣٨١، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٢٧.

(٤) سورة الحجر، الآيتان ٣٧-٣٨، وسورة ص، الآيتان ٨٠-٨١.

وأكثر العلماء على أن المراد بالوقت المعلوم أي يوم الوقت المعلوم لهلاك جميع الخلق؛ وذلك حين لا يبقى على الأرض من بني آدم ديار، والمراد به وقت النفخة الأولى حين تموت الخلائق[١].

وقال بعض المفسرين: المراد بالوقت المعلوم: البعث، وهو نفخة الصور الثانية[٢].

وقيل: الوقت المعلوم «الذي استأثر الله بعلمه، ويجهله إبليس، فيموت إبليس ثم يبعث؛ لقوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [الرحمن: ٢٦]»[٣].

ولم تكن إجابة الله تعالى سؤال إبليس في الإمهال والإنظار إكراماً له؛ بل كانت زيادة في بلائه وشقائه؛ فإجابة الله لدعائه امتحان وابتلاء من الله تعالى له وللعباد؛ ليتبين الصادق الذي يطيع مولاه دون عدوه ممن ليس كذلك؛ ولذلك حذرنا منه غاية التحذير، وشرح لنا ما يريده[٤].

قال ابن كثير: « أجابه تعالى إلى ما سأل لما له في ذلك من الحكمة والإرادة والمشيئة، التي لا تخالف ولا تمانع، ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب »[٥].

فمن حِكم إبقائه وإنظاره :

(١) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن ١٤/٢٢. ومعالم التنزيل ٤/ ٣٨١ و٧/ ١٠٢. والجامع لأحكام القرآن ١٠/٢٧، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢/٢٩٥.

(٢) انظر: محاسن التأويل ٧/ ٢٦٣١.

(٣) انظر: الجامع الأحكام القرآن ١٠/ ٢٧.

(٤) انظر: معالم التنزيل ٤/ ٣٨١، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٣٨٥.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٢/ ١٩٥.

١- أن الله لما جعله ابتلاء ومحكاً يخرج به الطيب من الخبيث، ووليه من عدوه، اقتضى العليم الحكيم إبقاءه ليحصل الغرض المطلوب بخلقه، ولو أماته لفات ذلك الغرض، كما أن العليم الحكيم اقتضى بقاء أعدائه الكفار إلى آخرالدهر، ولو أهلكهم البتة لتعطلت الحكم الكثيرة في إبقائهم، فكما اقتضى العليم الحكيم ابتلاء أبي البشر اقتضى ابتلاء أولاده من بعده به، فتحصل السعادة لمن خالفه وعاداه، والشقاوة لمن وافقه ووالاه.

٢ - أنه لو مات لكان خيراً له وأخف لعذابه، فلما غلظ ذنبه بالإصرار على المعصية، وعدم التسليم لرب العالمين، والحلف على إغواء بني آدم وصدهم عن عبودية الله تعالى، كانت عقوبة الذنب أعظم عقوبة بحسب تغلظه، فأبقي في الدنيا، وأملي له؛ ليزداد إثماً على إثم ذلك الذنب، فيستوجب العقوبة التي لا تصلح لغيره، فيكون رأس أهل الشر في العقوبة، كما كان رأسهم في الشر والكفر.

٣ - وذكر ابن القيم أن من حكم إبقاء إبليس « أنه لما قال في مخاصمته لربه : ﴿ **قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾ [الإسراء: ٦٢]، وعلم سبحانه أن في الذرية من لا يصلح لمساكنته في داره، ولا يصلح إلا لما يصلح له الشوك والروث، أبقاه له وقال له بلسان القدر: هؤلاء أصحابك وأولياؤك فاجلس في انتظارهم، وكلما مرّ بك واحد منهم فشأنك به، فلو صلح لي لما ملكتك منه، فإني أتولى الصالحين، وهم الذين يصلحون لي، وأنت ولي المجرمين، الذين غنوا عن موالاتي، وابتغاء مرضاتي، قال تعالى: ﴿ **إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ** ﴾ [النحل: ٩٩، ١٠٠]» [1].

---

(١) انظر: شفاء العليل، ص ٢٤٠ -٢٤١.

المبحث الثالث عشر

كيف يعذب إبليس بالنار وهو مخلوق منها

شبهة والرد عليها :

ملخص هذه الشبهة التي يذكرها بعض الناس هي أن الله قضى بأن جزاء إبليس نار جهنم يعذب فيها هو ومن تبعه من شياطين الإنس والجن، فكيف يعذب إبليس بالنار وهو مخلوق منها؟ وكيف يعذب كفرة الجن بالنار وأصلهم منها، وكيف ترمى الشياطين بالشهب ؟.

الجواب على هذه الشبهة من وجوه:

الوجه الأول: أنه ثبت بالنصوص الشرعية أن إبليس خلق من نار، وثبت أنه يعذب في النار بدليل قوله تعالى: ﴿ **لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ [ص: ٨٥]، وقوله : ﴿ **قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا** ﴾ [الإسراء: ٦٣] وغيرها من الآيات.

فيجب الإيمان والوقوف مع النص، ولا اجتهاد معه.

الوجه الثاني: أن الله سبحانه وتعالى أخبر في القرآن الكريم أنه خلق الإنسان من صلصال من حمأ مسنون، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَأٍ مَّسْنُونٍ** ﴾ [الحجر: ٢٦]، وقال سبحانه: ﴿ **إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَأٍ مَّسْنُونٍ** ﴾ [الحجر: ٢٨]، وأخبر - سبحانه - في آية أخرى أنه: ﴿ **خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ** ﴾ [الرحمن: ١٤]، وأخبر- أيضاً- أنه خلق ﴿ **الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ** ﴾ [المؤمنون: ١٢]، والآيات في هذا كثيرة[١].

---

(١) انظر: الأنعام ٢، الأعراف ١٢، السجدة٧، الصافات ١١، ص٧١، ٧٦، الإسراء ٦١.

والمراد أن أصل الإنسان كان طيناً، وليس الآدمي طيناً حقيقة، وكذلك إبليس، والجن، والشياطين، كانوا ناراً في أصل الخلقة، وليسوا ناراً بعد ذلك.

الوجه الثالث: ما رواه أبو الدرداء قال: قام رسول الله ﷺ فسمعناه يقول: (أعوذ بالله منك)، ثم قال: (ألعنك بلعنة الله ثلاثاً)، وبسط يده كأنه يتناول شيئاً، فلما فرغ من الصلاة قلنا: يا رسول الله قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك، ورأيناك بسطت يدك ! قال: (إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي فقلت: أعوذ بالله منك ثلاث مرات، ثم قلت: ألعنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثلاث مرات، ثم أردت أخذه، والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة)[1].

فلو كان إبليس باقياً على عنصره الناري لما احتاج إلى أن يأتي بشهاب من نار إلى الرسول ﷺ، ولكانت يد إبليس أو شيء من أعضائه كافياً.

قال الخطابي في تعليقه على هذا الحديث: « فيه دليل على أن الجن ليسوا باقين على عنصرهم الناري؛... فدل على أن تلك النارية انغمرت في سائر العناصر »[2].

---

(١) رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة ٥/٣٠، ٣١ من شرح النووي.

(٢) عمدة القارى شرح صحيح البخاري ٤/٢٣٤، ٢٣٥.

الوجه الرابع: عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (مرّ عليَّ الشيطان فأخذته فخنقته حتى لأجد برد لسانه في يدي، فقال: أوجعتني أوجعتني)[1].

دل هذا لحديث على أن إبليس ليس ناراً؛ إذ لو كان ناراً لما وجد رسول الله ﷺ للسانه برداً.

الوجه الخامس: روى الإمام أحمد أن رجلاً سأل عبد الرحمن بن خنبش: كيف صنع رسول الله ﷺ حين كادته الشياطين ؟ قال: جاءت الشياطين إلى رسول الله ﷺ من الأودية، وتحدرت عليه من الجبال، وفيهم شيطان معه شعلة من نار يريد أن يحرق بها رسول الله ﷺ قال: فرعب - قال جعفر أحسبه قال: جعل يتأخر - قال: وجاء جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد قل، قال: ما أقول ؟ قال قل: أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض، ومن شر ما يخرج منها، ومن فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن، فطفئت نار الشياطين وهزمهم الله عز وجل.[2].

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ٦/ ١٣ ح٣٩٢٦ . قال المحقق أحمد محمد شاكر: إسناده ضعيف، لانقطاعه، ورواه البيهقي في دلائل النبوة ٧/٩٩. وقال الهيثمي: رواه أحمد، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه، وبقية رجاله رجال الصحيح ١/ ٢٨٨، وأصل هذا الحديث في البخاري. انظر: الفتح ٨/٦٤٥ ، وفي مسلم انظر شرح النووي ٥/٢٨، ٢٩.

(٢) المسند ٣/٣١٩ . ورواه ابن السني في عمل اليوم والليلة ٦٣١ . وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/٤٩٥ ح ٨٤٠.

فلو كان الشيطان ناراً لما احتاج لحمل شعلة معه، ولكانت يده كافية للإحراق.

الوجه السادس: قول الرسول ﷺ: (إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شراً، أو قال شيئاً)[1].

فقوله: (إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم) هو على ظاهره؛ إذ لاصارف يصرفه عن ظاهره، والله - سبحانه وتعالى - أقدره على ذلك، وجعل له قدرة وقوة على الجري في باطن الإنسان مجاري دمه[2].

ولو كان الشيطان باقياً على ناريته لما استطاع أن يجري في الإنسان مجرى الدم.

الوجه السابع: أن أصل الإنسان من طين، فلو ضُرب بطين أو فخار، لتعذب به، بل قد يقتل به، ولو رمي بتراب أو دفن فيه لاختنق وتأذى، وكذلك إبليس خلق من نار وسيعذب بها هو والشياطين.

الوجه الثامن: أن الله قادر على أن يعذب من شاء بما شاء، فهو القادر على أن يعذب بالنار من خلقه من النار، هو على كل شيء قدير.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الاعتكاف، باب هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد، الفتح ٨٧٢/٤. ورواه مسلم، باب بيان أنه يستحب لمن رؤي خالياً بامرأة ؛ وكانت زوجته أو محرماً له أن يقول: هذه فلانة. صحيح مسلم بشرح النووي ١٥٦/١٤، ١٥٧.

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ٤/ ٢٨٠.

المبحث الرابع عشر

الحكمة من خلق إبليس وجنوده

الله- سبحانه وتعالى- حكيم لا يخلق شيئاً عبثاً، ولا يفعل لغير معنى ومصلحة وحكمة هي الغاية المقصودة بالفعل ، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل.

والله - جل وعلا - خالق الخير والشر، فالشر في بعض مخلوقاته، لا في خلقه وفعله، وخلقه وفعله وقدره خير كله؛ ولهذا تنزه ربنا سبحانه عن الظلم، الذي حقيقته وضع الشيء في غير موضعه، فلا يضع الأشياء إلا في مواضعها اللائقة بها، وذلك خير كله، والشر وضع الشيء في غير محله، فإذا وضع في محله لم يكن شراً، فعلم أن الشر ليس إليه.[1].

وقد كان من دعاء رسول الله ﷺ إذا استفتح الصلاة وكبر أن يقول: (لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب إليك)[2].

يقول ابن القيم: « فتبارك وتعالى عن نسبة الشر إليه، بل كل ما نسب إليه فهو خير، والشر إنما صار شراً لانقطاع نسبته وإضافته إليه، فلو أضيف إليه لم يكن شراً »[3].

---

(١) انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ص١٧٩،١٩٠.

(٢) الحديث رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، ح٧٧١.

(٣) شفاء العليل، ص١٧٩.

ومما يجب أن يؤكد عليه أن الإرادة في كتاب الله تعالى نوعان :

الأول: إرادة قدرية كونية خلقية، وهي المشيئة الشاملة لجميع الحوادث.

الثاني: إرادة دينية أمرية شرعية، وهي المتضمنة للمحبة والرضى.

وبيان ذلك أن المراد نوعان:

الأول : مراد لنفسه، مطلوب محبوب لذاته وما فيه من الخير، فهو مراد إرادة الغايات والمقاصد.

الثاني : مراد لغيره، قد لا يكون مقصوداً للمريد، ولا فيه مصلحة له بالنظر إلى ذاته، وإن كان وسيلة إلى مقصوده ومراده، فهو مكروه له من حيث نفسه وذاته، مرادٌ له من حيث إمضاؤه وإيصاله إلى مراده، مجتمع فيه الأمران: بغضه وإرادته، ولا يتنافيان، لاختلاف متعلقهما.

فالله - سبحانه وتعالى - يكره الشيء، ولا ينافي ذلك إرادته لأجل غيره وكونه سبباً إلى أمر هو أحب إليه من عدمه[1].

من ذلك أنه جل وعلا خلق إبليس الذي هو مادة لفساد الأديان، وهو سبب لشقاوة كثير من العباد، ومع هذا فهو وسيلة إلى محاب كثيرة للرب تبارك وتعالى ترتبت على خلقه، وجودها أحب إليه من عدمها، كما أن في خلقه حكماً عظيمة، لا يحيط بتفاصيلها إلا الله - سبحانه وتعالى -، وتعجز العقول عن إدراكها؛ لذا اجتهد العلماء بذكر بعضها، ومن ذلك ما يأتي:

---

(١) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ١٩٣/٢، ١٩٤ ، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٧٩ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨.

الحكمة الأولى: إكمال مراتب العبودية لأنبيائه وأوليائه؛ بمجاهدة إبليس وجنوده، ومخالفته ومراغمه، والاستعاذة بالله تعالى منه، واللجأ إليه جل وعلا أن يعيذهم من شره وكيده، فيترتب لهم على ذلك من المصالح الدنيوية والأخروية ما لا يحصل بدونه.

الثانية: أن المحبة والإنابة والتوكل والصبر والرضا، ونحوها أنواع عظيمة من العبودية المحبوبة عند الله – سبحانه وتعالى –، وهي إنما تتحقق بالجهاد وبذل النفس لله، وتقديم محبته على كل ما سواه، فكان في خلق إبليس وجنوده قيام سوق هذه العبودية وتوابعها، وتتضمن من الفوائد ما لا يحصيه إلا الله تعالى.

الثالثة : أنه ـ سبحانه وتعالى ـ يحب أن يشكر بحقيقة الشكر وأنواعه، وأولياء الله تعالى نالوا بوجود إبليس وجنوده، وامتحانهم به من أنواع شكره ما لم يكن ليحصل لهم بدونه؛ ولهذا فإن شكر آدم عليه السلام بعد أن ابتلي بعدوه ثم اجتباه ربه وتاب عليه وقبله أعظم من شكره وهو في الجنة قبل أن يخرج منها.

الرابعة: أن عدو الله إبليس محك امتحن الله به خلقه، ليتبين به خبيثهم من طيبهم؛ فإنه سبحانه خلق النوع الإنساني من الأرض؛ وفيها السهل والحزن، والطيب والخبيث، فلا بد أن يظهر فيهم ما كان في مادتهم، ولا بد من سبب يظهر ذلك، وكان إبليس محكاً يميز به الطيب من الخبيث، كما جعل الله تعالى أنبياءه ورسله محكاً لذلك التمييز.

الخامسة: أن خوف الملائكة، والمؤمنين من ذنوبهم، بعد ما شاهدوا من حال عدو الله إبليس ما شاهدوه، وسقوطه وهبوطه مذموماً مدحوراً، يكون أقوى وأتم، ولا شك أن الملائكة لما شاهدوا ذلك حصلت لهم عبودية أخرى لله تعالى، وخضوع آخر، وخوف آخر.

السادسة: أن العباد ينالون ثواب مخالفة إبليس وجنوده، ومعاداتهم، ونحو ذلك، مما حصوله مشروط بالمعاداة والمخالفة، فأكثر عبادات القلوب والجوارح مرتبة على مخالفة عدو الله.

السابعة: أن اتخاذ إبليس عدواً هو من أكبر أنواع العبودية وأجلّها، قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا** ﴾ [فاطر: ٦]، فاتخاذه عدواً أنفع شيء للعبد، وهو محبوب للرب ـ سبحانه وتعالى ـ.

الثامنة: إظهار كمال قدرة الله تعالى في خلق الأسباب المتقابلة، مثل خلق جبريل وسائر الملائكة، وخلق إبليس والشياطين، وهذا من شأن كمال الربوبية والقدرة النافذة، وإن كان شأن الربوبية كاملاً في نفسه، لكن خلق هذه الأسباب من لوازم كماله، وملكه، وقدرته، وحكمته، فظهور تأثيرها وأحكامها تحقيق لذلك الكمال.

التاسعة: أن خلق أحد الضدين من كمال حسن ضده؛ فإن الضد إنما يظهر حسنه الضد؛ فلولا القبيح لم تعرف فضيلة الجميل، ولولا الفقر لم يعرف قدر الغنى.

العاشرة: أن ظهور كثير من آياته وعجائب قدرته ولطائف صنعه حصل بسبب خلق من يضاد رسله ويكذبهم ويعاديهم، ووقوع الكفر والشر منهم، مثل ظهور آية الطوفان والعصا واليد وفلق البحر، وغير ذلك مما وجوده أحب إلى الله تعالى وأنفع لأوليائه، فلولا كفر الكافرين، وعناد الجاحدين لما ظهرت هذه الآيات الباهرة.

الحادية عشرة: أن الله - سبحانه وتعالى - جعل إبليس عبرة لمن خالف أمره، وتكبر عن طاعته وأصر على معصيته، كما جعل ذنب أبي البشر عبرة لمن ارتكب نهيه أو عصى أمره، ثم تاب وندم ورجع إلى ربه، فابتلى أبوي الجن والإنس بالذنب، وجعل إبليس عبرة لمن أصر وأقام على ذنبه، وآدم عليه السلام عبرة لمن تاب ورجع إلى ربه.

الثانية عشرة: ظهور آثار أسمائه وصفاته وأفعاله، المتضمنة لقهره وانتقامه وعدله، وإعزازه وإذلاله، وكذا حلمه وعفوه ومغفرته وستره، ونحو ذلك؛ فإن أسماءه وصفاته وأفعاله كمال، فلا بد من وجود متعلقها، ولولا خلق ما يكره من الأسباب المفضية إلى ظهور آثارها لتعطلت تلك الحكم والفوائد.

الثالثة عشرة: أن من أسماء الله تعالى الحكيم، والحكمة من صفاته تعالى، وهي تستلزم وضع كل شيء موضعه، الذي لا يليق به سواه، فاقتضت خلق المتضادات، وتخصيص كل واحد منها بما لا يليق به غيره من الأحكام والصفات والخصائص، وهل تتم الحكمة إلا بذلك، فوجود هذا النوع من تمام الحكمة، كما أنه من كمال القدرة .

فلو قدر عدم الأسباب المكروهة لتعطلت آثار حكمته، ولم تظهر لخلقه، ولفاتت الحكم والمصالح المترتبة عليها، وفواتها شر من حصول تلك الأسباب.

الرابعة عشرة: أن المادة النارية فيها الإحراق والعلو والفساد، وفيها الإشراق والإضاءة والنور، فأخرج منها سبحانه هذا وهذا، كما أن المادة الترابية فيها الطيب والخبيث، والسهل والحزن، والأحمر والأسود والأبيض، فاخرج منها ذلك كله، حكمة باهرة، وقدرة قاهرة، وآية دالة على وحدانيته وكماله، وأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

الخامسة عشرة: أن حمده ـ سبحانه وتعالى ـ تام كامل من جميع الوجوه، فهو محمود على عدله ومنعه وانتقامه، كما هو محمود على فضله وعطائه وإكرامه، فلله سبحانه الحمد التام الكامل على هذا وهذا، وهو يحمد نفسه على ذلك كله، ويحمده عليه ملائكته ورسله وأولياؤه، وما كان من لوازم كمال حمده وتمامه فله في خلقه وإيجاده الحكمة التامة، كماله عليه الحمد التام، فلا يجوز تعطيل حمده كما لا يجوز تعطيل حكمته[1].

---

(١) انظر شفاء العليل، ص ٢٣٦ - ٢٣٨ ، ومدارج السالكين ٢/ ١٩٥ - ١٩٨ ، وشرح العقيدة الطحاوية، ص ٣٢٨-٣٣٠.

المبحث الخامس عشر

الحكمة من ذكر قصة إبليس وتكرارها في القرآن الكريم

ذكر الله - سبحانه وتعالى - قصة إبليس في امتناعه عن السجود لآدم عليه السلام وجحوده واستكباره ومعارضته لرب العالمين، وكررت هذه القصة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وفي هذا الذكر والتكرار حكم وفوائد كثيرة، منها :

١ - التنبيه على عظم مخالفة النصوص:

إن مخالفة النصوص الشرعية وعدم التسليم لها من أعظم أسباب الوقوع في الفتن الصارفة عن الدين الحق، الموصلة للكفر والبدع والمخالفات، ولهذا يقول الله - عز وجل -: ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [النساء: ٦٥]، وهذا من أهم ما يجب أن نفيده من قصة إبليس اللعين عندما خالف أمر رب العالمين، فكانت عاقبته جهنم مذؤوماً مدحوراً.

قال ابن القيم بعد أن بين فساد شبهة إبليس: « ... مما يدل على ضعف مناظرة اللعين، وفساد نظره وإدراكه، وأن الحكمة كانت توجب عليه خضوعه لآدم فعارض حكمة الله وأمرَه برأيه الباطل ونظره الفاسد، فقياسه باطل نصاً وعقلاً.

وكل من عارض نصوص الأنبياء بقياسه ورأيه فهو من خلفائه وأتباعه، فنعوذ بالله من الخذلان، ونسأله التوفيق والعصمة من هذا البلاء الذي ما رمي العبد بشر منه، ولأن يلقى الله بذنوب الخلائق كلها ما خلا

الإشراك به أسلم له من أن يلقى الله وقد عارض نصوص أنبيائه برأيه ورأى بني جنسه، وهل طرد الله إبليس ولعنه وأحل عليه سخطه وغضبه إلا حيث عارض النص بالرأي والقياس، ثم قدمه عليه، والله يعلم أن شبه عدو الله مع كونها داحضة باطلة أقوى من كثير من شبه المعارضين لنصوص الأنبياء بآرائهم وعقولهم.

فالعالم يتدبر سرّ تكرير الله لهذه القصة مرة بعد مرة، وليحذر أن يكون له نصيب من هذا الرأي والقياس وهو لا يشعر، فقد أقسم عدو الله أنه ليغوين بنى آدم أجمعين إلا المخلصين منهم، وصدق تعالى ظنه عليهم، وأخبر أن المخلصين لا سبيل له عليهم، والمخلصون هم الذين أخلصوا العبادة والمحبة والإجلال والطاعة لله والمتابعة والانقياد لنصوص الأنبياء، فيجرد عبادة الله عن عبادة ما سواه، ويجرد متابعة رسوله وترك ما خالفه لقوله دون متابعة غيره، فليزن العاقل نفسه بهذا الميزان قبل أن يوزن يوم القدوم على الله، والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[1].

٢ - **بيان عداوة إبليس لآدم وذريته والتحذير من اتباعه:**

فإبليس استكبر عن طاعة رب العالمين، وامتنع عن السجود لآدم عليه السلام حيث أمره الله - سبحانه وتعالى -، بل عاند زاعماً أنه خير من آدم ؛ فمن ذلك نعلم عداوة إبليس لآدم وذريته، وعزمه على غوايتهم وإفسادهم ، قال تعالى مخبراً عنه : ﴿ **قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣].

---

(١) بدائع الفوائد ١٤٢/٤.

وقوله : ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧]، وقوله : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [الحجر: ٣٩، ٤٠].

فوجب الحذر منه، والبعد عن وسواسه وغوايته وتزيينه الباطل.

قال ابن كثير: « فأهبط إبليس من الملأ الأعلى ... فنزل إلى الأرض حقيرا ذليلاً مذؤوماً مدحوراً، متوعداً بالنار هو ومن اتبعه من الجن والإنس، إلا أنه مع ذلك جاهد كل الجهد على إضلال بني آدم بكل طريق وبكل مرصد، كما قال تعالى: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً ﴾ [الإسراء: ٦٢ - ٦٥]»[١].

وقال أيضاً في تفسيره: « ينبه تعالى بني آدم على شرف أبيهم آدم، ويبين لهم عداوة عدوهم إبليس، وما هو منطوٍ عليه من الحسد لهم ولأبيهم آدم؛ ليحذروه ولا يتبعوا طرائقه»[٢].

وقال السعدي عند تفسيره للآيات السابقة ونحوها مما ذكر فيه قصة إبليس: « ينبه تبارك وتعالى عباده على شدة عداوة الشيطان، وحرصه على إضلالهم، وأنه لما خلق الله آدم استكبر عن السجود له....،

---

(١) البداية والنهاية ١/ ٥٠،٥١ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢/ ١٩٣

والمقصود أن الله ابتلى العباد بهذا العدو المبين، الداعي لهم إلى معصية الله بأقواله وأفعاله...

يخبر الله تعالى عن عداوة إبليس لآدم وذريته، وأن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم، إكراماً وتعظيماً، وامتثالاً لأمر الله، فامتثلوا ذلك ﴿إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾ ، وقال: ﴿أأسجد لمن خلقت طيناً﴾ وقال: ﴿أنا خير منه﴾ فتبين بهذا عداوته لله ولأبيكم، فكيف تتخذونه وذريته أي : الشياطين ﴿أولياء من دوني وهم لكم عدوٌ بئس للظالمين بدلاً﴾، أي بئس ما اختاروا لأنفسهم من ولاية الشيطان، الذي لا يأمرهم إلا بالفحشاء والمنكر عن ولاية الرحمن، الذي كل السعادة والفلاح والسرور في ولايته، وفي هذه الآية الحث على اتخاذ الشيطان عدواً، والإغراء بذلك، وذكر السبب الموجب لذلك، وأنه لا يفعل ذلك إلا ظالم، وأي ظلم أعظم من ظلم من اتخذ عدوه الحقيقي ولياً، وترك الولي الحميد»[1].

٣ - التحذير من الحسد والكبر وبيان عاقبتهما :

المتأمل في قصة إبليس وامتناعه عن امتثال أمر الله تعالى بالسجود لآدم عليه السلام يدرك أن سبب ذلك الاستكبار والحسد، وهما من أعظم أسباب الوقوع في الانحرافات، وجلب الفتن والمخالفات.

قال الرازي: « واعلم أن المقصود من ذكر هذه القصة المنع من الحسد والكبر؛ وذلك لأن إبليس إنما وقع فيما وقع فيه بسبب الحسد والكبر.

والكفار إنما نازعوا محمداً صلى الله عليه وسلم بسبب الحسد والكبر.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٤١٣، ٤٢٩.

فالله تعالى ذكر هذه القصة ههنا ليصير سماعها زاجراً لهم عن هاتين الخصلتين المذمومتين، وذكر في تقريره أموراً أربعة :

أولها: أنه نبأ عظيم فيجب الاحتياط فيه.

والثاني: أن قصة سؤال الملائكة عن الحكمة في تخليق البشر يدل على أن الحكمة الأصلية في تخليق آدم هو المعرفة والطاعة لا الجهل والتكبر.

الثالث: أن إبليس إنما خاصم آدم عليه السلام لأجل الحسد والكبر، فيجب على العاقل أن يحترز عنهما.

فهذا وجه النظم في هذه الآيات »[1].

كما يستفاد من قصة إبليس بيان عاقبة المتكبرين، وذلك في قوله - سبحانه وتعالى - مخاطباً إبليس : ﴿ **قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ** ﴾ [الأعراف: ١٣].

بين الله تعالى في هذه الآية الكريمة أنه عامل إبليس اللعين بنقيض قصده، حيث كان قصده التعاظم والتكبر؛ فأخرجه الله صاغراً حقيراً ذليلاً، متصفاً بنقيض ما كان يحاوله من العلو والعظمة، وذلك في قوله : ﴿ **إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ** ﴾، والصَّغَار أشد الذل والهوان، وكذلك قوله : ﴿ **اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا** ﴾ [الأعراف: ١٨].

ويفهم من الآية أن المتكبر لا ينال ما أراد من العظمة والرفعة، وإنما يحصل له نقيض ذلك ؛ وصرح تعالى بهذا المعنى في قوله : ﴿ **إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ** ﴾ [غافر: ٥٦].

---

(١) التفسير الكبير ٢٢٧/٢٥. وانظر: بدائع الفوائد ١٣٨/٤.

وبين في مواضع أخر كثيراً من العواقب السيئة التي تنشأ عن الكبر، أعاذنا الله والمسلمين منه.

- فمن ذلك أنه سبب لصرف صاحبه عن فهم آيات الله، والاهتداء بها كما في قوله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

- ومن ذلك أنه من أسباب الثواء في النار لما في قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٠]، وقوله: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الصافات: ٣٥].

- ومن ذلك أن صاحبه لا يحبه الله تعالى كما في قوله: ﴿لا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [النحل: ٢٣].

- ومن ذلك أن موسى استعاذ من المتصف به، ولا يستعيذ إلا مما هو شر، كما في قوله: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لاَّ يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ [غافر: ٢٧].

إلى غير ذلك من نتائجه السيئة، وعواقبه الوخيمة، ويفهم من مفهوم المخالفة في الآية أن المتواضع لله جل وعلا يرفعه الله[١].

قال الشنقيطي: « وقد أشار تعالى إلى مكانة المتواضعين له عنده في مواضع أخر كقوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴾[الفرقان: ٦٣]، وقوله: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣]،

---

(١) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢/ ٢٩٤، ٢٩٥.

وقد صح عنه ﷺ أنه قال : (إنه أوحي إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد)[1]. ، وقد قال الشاعر:

تواضع تكن كالبدر تبصر وجهه   على صفحات الماء وهو رفيع

ولاتك كالدخان يعلو بنفسه   إلى صفحات الجو وهو وضيع

وقال أبو الطيب المتنبي:

ولو لم يعل إلا ذو محل   تعالى الجيش وانحط القتام»[2].

ويقول ﷺ : (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)[3].

قال البغوي: « قوله: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)، قيل: أراد به كبر الكفر...، وقيل أراد أن الله - سبحانه وتعالى - ينزع الكبر من قلبه إذا أراد أن يدخله الجنة، حتى يدخلها بلا كبر، كما قال تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ [الأعراف: ٤٣]...»[4].

وقيل: المراد أنه لا يدخل الجنة دون مجازاة، وقد يتكرم - سبحانه وتعالى - بأنه لا يجازيه، وقيل: المراد: لا يدخلها مع المتقين أول وهلة [5].

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجنة، باب ،١٦ ح ٢٨٦٥.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢/ ٢٩٥.

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، ح ٩١.

(٤) شرح السنة ١٣ / ١٦٦.

(٥) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ٢/ ٩١.

وجاء في الحديث المتفق على صحته قوله ﷺ : (ألا أخبركم بأهل النار: كل عتلٍّ جوّاظ مستكبر)[1]..

والمراد به: شديد الخصومة، الفظّ الغليظ الذي لا ينقاد لخير، الجموع المنوع، المختال في مشيه، المستكبر[2].

٤ - أخذ العظة والعبرة والمداومة على الخوف والخشية، والإكثار من سؤال الله . سبحانه وتعالى . الاستقامة والثبات عليها:

ولهذا كان الرسول ﷺ يدعو بـ: (اللهم أعني على شكرك وعلى ذكرك، وعلى حسن عبادتك)[3]، و (اللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك)[4]، و (اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك)[5]..

فإن إبليس لمّا عصى الله تعالى وخرج عن طاعته، واستكبر، أهبطه جل وعلا وجعله من الصاغرين إلى يوم يبعثون، ومثواه جهنم وبئس المصير.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب الكبر. ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، ح ٢٨٥٣.

(٢) انظر: شرح السنة ١٣/ ١٧٠، وفتح الباري شرح صحيح البخاري ٨/ ٦٦٣.

(٣) رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب الاستغفار. ورواه النسائي، كتاب السهو، باب نوع آخر من الدعاء (٦٠)، وأحمد في المسند ٥/ ٢٤٥. وقال عنه الألباني: (صحيح). انظر: صحيح الجامع الصغير ٢/ ١٣٢٠، ح ٣٠٦٣.

(٤) رواه الترمذي، كتاب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن، ح ٢١٤٠. ورواه ابن ماجه، كتاب الدعاء، باب دعاء رسول الله ﷺ، ح ٣٨٣٤. وقال عنه الألباني: (صحيح). انظر: صحيح ابن ماجه ٢/ ٣٢٥.

(٥) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، ح ٢٧٣٩.

فعلى المسلم أخذ العظة والعبرة مما قصه الله عليه في القرآن الكريم، وأن يداوم على الطاعة، ويسأل ربه الثبات على الاستقامة، وأن يحذر من المخالفة وأسبابها، فإن الرسول ﷺ كان يكثر أن يقول : (اللهم ثبت قلبي على دينك) فقال رجل : يا رسول الله، تخاف علينا وقد آمنا بك وصدقناك بما جئت به ؟ ! فقال : (إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن عزّ وجل يُقلِّبها)[1].

ومن أعظم أسباب المخالفة والانحراف اتباع إبليس الذي سُلِّط على آدم وذريته، إلا أن الله سبحانه وتعالى تكفل بحفظ من آمن به عز وجل وصدق رسله واتبع شرعه كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً ﴾ [الإسراء: ٦٥]، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ [سبأ: ٢٠، ٢١]، وقال تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٧]، وقوله : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ [الحجر: ٤٢ - ٤٤]، وقوله جل وعلا : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣]، وقوله : ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء: ٦٢].

---

(١) سبق تخريجه، الهامش (٢) في هذه الصفحة.

فإبليس وجنوده من الشياطين حريصون على إغواء بين آدم، فهم يشتهون الشر ويلتذون به، ويحرصون عليه بمقتضى خبث أنفسهم، وإن كان موجباً لعذابهم وعذاب من يغوونه، فإذا تقرب أصحاب الكفر والشرك إليهم بما يحبونه صار ذلك كالرشوة لهم، فيقضون بعض أغراضهم، كمن يعطي غيره مالاً ليقتل من يريد قتله، أو يعينه على فاحشة، أو ينال معه فاحشة، والإنسان إذا فسدت نفسه أو مزاجه يشتهي ما يضره ويلتذ به، بل يعشق ذلك عشقاً يفسد عقله ودينه وخلقه وبدنه وماله[1].

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ١٩/ ٣٤، ٣٥.

الخاتمة

الحمد لله الذي أعان على تتمة هذا البحث، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين. وبعد.

فإن هذا البحث جلى قضايا وأموراً منها:

١- أن حقيقة إبليس وما ثبت فيه من النصوص الشرعية هو من الأمور الغيبية التي يجب الإيمان بها دون زيادة ولا نقصان، وترك الأخبار الإسرائيلية وغيرها مما لم يثبت في ديننا.

٢- أن إبليس هو أبو الجن: مؤمنهم وكافرهم، وكفارهم هم الشياطين، وعلى هذا فهو أصل الجن والشياطين ومصدرهم، ولم يكن من الملائكة؛ بل هو أصل الجن، كما أن آدم عليه السلام أصل الإنس.

٣- أن خلقه متقدم على خلق آدم، وأنه خلق من نار السموم.

٤- أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام تشريفاً وتكريماً له ففعلوا إلا إبليس؛ منعه الكبر حين ظن أن مادة خلقه وهي النار أفضل من مادة خلق آدم وهي الطين.

٥- أن قياس إبليس هذا قياس فاسد الاعتبار لمخالفته النص الصريح بالأمر بالسجود لآدم عليه السلام.

٦- أن شبهة إبليس فاسدة، وظنه باطل، فإن الطين خير من النار، وبيان ذلك من وجوه كثيرة.

٧- أن الجنة التي أسكنها الله تعالى آدم عليه السلام هي جنة الخلد، وأن إبليس استطاع بتقدير الله تعالى الكوني أن يزلهما عنها ويخرجهما مما كانا فيه.

٨- أن عدو الله تعالى إبليس لما أهبطه الله وجعله من الصاغرين طلب الإنظار والإمهال؛ ليتمكن من إغواء من يقدر عليه، فأجابه وأنظره ابتلاء وامتحاناً للعباد، فوضع عدو الله عرشه على الماء، وبعث سراياه لفتنة الناس وإغوائهم.

٩- أن في خلق إبليس من الحكم العظيمة ما لا يحصيه إلا الله تعالى، وقد ذكرت ما تيسر منها في هذا البحث.

١٠- ذكر الله تعالى قصة إبليس مع آدم عليه السلام وكررها في أكثر من موضع في كتاب الله تعالى، وذلك لما فيها من العبر العظيمة، والحكم الكثيرة.

١١- وجوب الإفادة من تلك القصة، وأخذ العظة والعبرة منها، ولعل من أهم الفوائد الحذر من مخالفة النصوص الشرعية، وعدم التسليم لرب العالمين، ومخالفة أمر الله بالأهواء الباطلة، والأقيسة الفاسدة.

١٢- الابتعاد عن الحسد والكبر، ومعرفة عاقبة المستكبرين.

١٣- الحذر من إبليس وجنوده من شياطين الإنس والجن، وأخذ الوقاية الشرعية التي تحفظ المسلم من فتنته،وفتنة سراياه الذين يبعثهم بأسباب الكفر والضلال من السحر والشعوذة ، وكل ما يخالف شرع الله تعالى.

المصادر والمراجع

١ - آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان، محمد بن عبد الله الشبلي، تحقيق أيمن البحيري، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٢ - إبليس، عباس محمود العقاد، دار نهضة مصر، القاهرة، بدون تاريخ.

٣ - الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٤ - الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت. بدون تاريخ.

٥ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، الرياض، ١٤٠٣هـ.

٦ - الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٨٦م.

٧ - البحر المحيط، محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.

٨ - بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مكتبة دار البيان، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٩ - البداية والنهاية، عماد الدين ابن كثير، مكتبة النصر، الرياض، ١٩٦٦م.

١٠ - تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ.

١١ - تتمة الأعلام، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

١٢ - تجريد أسماء الصحابة، الناشر شرف الدين الكتبي وأولاده ١٣٨٩هـ.

١٣ - تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الخامسة ١٤١٦هـ.

١٤ - التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.

١٥ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ.

١٦ - جامع الأصول في أحاديث الرسول، ابن الأثير، الطبعة الأولى، ١٣٧٠هـ، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

١٧ - جامع البيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ.

١٨ - الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٨٧هـ.

١٩ - الجن في القرآن والسنة، ولي زار بن شاه زين الدين، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٢٠ - حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ.

٢١ - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

٢٢ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور، أبو بكر جال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٢٣ - دقائق التفسير، ابن تيمية، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.

٢٤ - دلائل النبوة، احمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٢٥ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، مكتبة دار التراث، القاهرة، بدون تاريخ.

٢٦ - سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

٢٧ - سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، دار الدعوة، إستانبول، تركيا، ١٤٠١هـ.

٢٨ - سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الدعوة، إستانبول، تركيا، ١٤٠١هـ.

٢٩ - سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه، دار الدعوة، إستانبول، ترطكيا، ١٤٠١هـ.

٣٠ - السنن الكبرى للبيهقي، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

٣١ - سنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، دار الدعوة، إستانبول، تركيا، ١٤٠١هـ.

٣٢ - سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٣٣ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

٣٤ - شرح السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ.

٣٥ - شرح العقيدة الطحاوية، علي بن أبي العز الدمشقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.

٣٦ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.

٣٧ - شفاء العليل، ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

٣٨ - الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة، ومطبعة العلم للملايين، بيروت، بدون تاريخ.

٣٩ - صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الدعوة، إستانبول، تركيا، ١٤٠١هـ.

٤٠ - صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.

٤١ - صحيح ابن حبان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٤٢ - صحيح ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٤٣ - صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الدعوة، إستانبول، تركيا، ١٤٠١هـ.

٤٤ - صحيح مسلم بشرح النووي، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، بدون تاريخ.

٤٥ - عالم الجن والشياطين، عمر الأشقر، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.

٤٦ - عقد المرجان فيما يتعلق بالجان، علي برهان الحلبي الشافعي، مكتبة ابن سينا، القاهرة، بدون تاريخ.

٤٧ - عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود العيني، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

٤٨ - عمل اليوم والليلة، ابن السني، دار المعرفة، بيروت، طبعة ١٣٩٩هـ.

٤٩ - فتاوى السبكي، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

٥٠ - فتاوى الشيخ محمد الصالح العثيمين، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ.

٥١ - فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب أحمد الدويش، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٥٢ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

٥٣ - فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

٥٤ - الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ.

٥٥ - فيض القدير بشرح الجامع الصغير، زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٣٨م.

٥٦ - القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزآبادي، مطبعة دار المأمون ١٣٥٧هـ.

٥٧ - القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد الصالح العثيمين، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٥هـ.

٥٨ - كتاب الأضداد، ابن الأنباري، المطبعة الحسينية المصرية بكفر الطماعين بمصر، بدون تاريخ.

٥٩ - كتاب العظمة، أبو الشيخ الأصبهاني، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٦٠ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.

٦١ - كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد العجلوني، مكتبة المقدس، القاهرة ١٣٥١هـ.

٦٢ - لسان العرب المحيط، ابن منظور، دار لسان العرب، بيروت، بدون تاريخ.

٦٣ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ.

٦٤ - المجموع الثمين من فتاوى محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
٦٥ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.
٦٦ - محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، دار إحياء الكتب العربية، بدون تاريخ.
٦٧ - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٨٢هـ.
٦٨ - المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله النيسابوري الحاكم، مكتبة النصر الحديثة، الرياض.
٦٩ - مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٧٨م.
٧٠ - مسند الإمام أحمد، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
٧١ - مشكاة المصابيح، الخطيب التبريزي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية.
٧٢ - معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق خالد العك، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.
٧٣ - معاني القرآن، أبو زكريا الفراء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، بدون ذكر ناشر ولا تاريخ النشر.

٧٤ - المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، قام بإخراجه أحمد حسن الزيات وآخرون،، دار الدعوة، إستانبول، تركيا، بدون تاريخ.

٧٥ - مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية، دار ابن عفان، الخبر، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٧٦ - النهاية في الفتن، ابن كثير، تحقيق طه زيني، دار الكتب الحديثة، القاهرة، الطبعة الولى، بدون تاريخ.

٧٧ - النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.